

كتاب الحلال

تفسير الأعلام

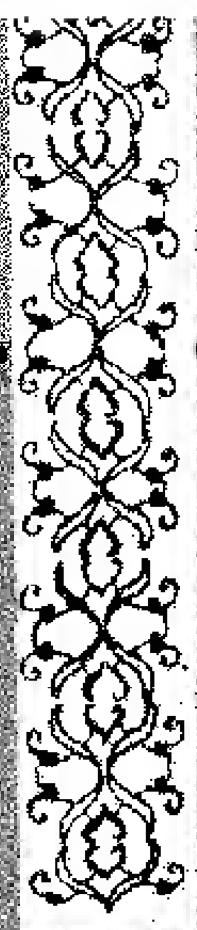
تفسير الأعلام
تفسير الأعلام

للعلامة الفخامة

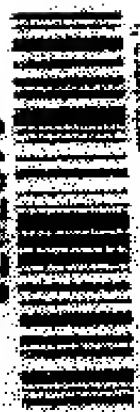
سيد حسنة فتوى



مكتبة وثائقية شهرية



0197078



Bibliotheca Alexandrina

كتاب الهلال

KITAB AL-HILAL

سلسلة شهرية تصدر عن « دار الهلال »

رئيس التحرير: طاهر الطنجي

العدد ١٣٧ - ويبيع الأول ١٣٨٢ - أغسطس ١٩٦٢

No. 137 - AOUT 1962

مركز الإدارة

دار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب
التليفون : ٢٠٦١٠ (عشرة خطوط)

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوي : (١٢ عددا) في الجمهورية
العربية المتحدة والسودان ١٠٠ قرش صاغا - في
سوريا ولبنان ١٢٥٠ قرشا سوريا لبنانيا - في بلاد
اتحاد البريد العربي بالبريد البحري ١٣٠ قرشا صاغا
و (بالطائرة) ١٧٨ قرشا صاغا - في الأمريكتين ٥
دولارات ونصف - في سائر أنحاء العالم ١٧٠ قرشا
صاغا ا. ٣٥ شكلا

اهداءات ٢٠٠١

أ. ح. محمد هادي

جراح بالمستشفى الملكي المصري



كتاب الحلال



سلسلة شهرية لنشر الثقافة بين الجميع

تفسير الأحلام

للعالم النفساني
ميجيمونيه فريدي

تبسيط وتلخيص
الدكتور نظامي لوقعا

حقوق الطبع محفوظة لدار الهلال

مؤلف الكتاب

في السادس من شهر مايو عام ١٨٥٦ ، وفي مدينة صغيرة هي فرايبرج في مورانيا التي يسكنها خليط من الالمان والتشييك لايزيد عددهم على خمسة آلاف نسمة ، ولد طفل اسمه سيجموند فرويد في بيت متواضع مكون من طابقين ، عتيق البناء ، منفصّل عن سائر بيوت الجيران وواجهته عاطلة من الزينة والزخرف ..

ولد هذا العالم الذي سيمنى بالشذوذ النفسى في أسرة فيها الكثير من غير المألوف .. فأمه الحسناء الورعة الرقيقة في التاسعة عشرة من عمرها ، وأبوه قد نيف على الخمسين .. وهو وحيد أبويه ، وله مع ذلك أخوة من زوجة متوفاة لأبيه هم أكبر من أمه سنا ، وله ابن أخ يكبره بعام .. وعلاقته بأبيه أقرب الى علاقة الحفيد ، وعلاقته بأخويه الكبارين أقرب الى علاقة الابن ، وعلاقته بابن أخيه أقرب الى علاقة الاخ الاصغر ، ووضع بالنسبة لابن أخيه يعطيه الحق في الاحترام .. وتقاربهما في السن يجعلهما أخوين ورفيقى لعب ولهو ، والوضع الواقعى يجعل العم سيجموند عرضة للسكيات وصفعات ابن أخيه جون .. فيحنق عليه ويجتمع في قلبه له النقيضان من حب وبغض ، ويكون في حرب مستمرة معه للمحافظة على هيئته السليبة ..

والاب القاسى يثير فى الطفل المدلل من امه الخوف ،
فيدخر له ذلك الطفل الشعور بالمنافسة لانه يزحمه فى
عطف امه ورقتها ، ولكن ما أن يبلغ الطفل الثامنة حتى
يصحبه الاب فى نزهاته ، وتتصل بينهما صداقة تزداد
على مر الايام توطدا .. ولكنها لا تستبعد من نفس
الطفل ذكريات الحسد والمنافسة ، فتجتمع النقائص فى
عواطفه وتكون نفسه البافعة مسرحا لصراع السخائم
والمودات ولتناقض الواقع والمفروض ومفارقة الحقيقة
والمنطق ..

ولم يكن هذا هو كل ما ادخرته الحياة من دروس
التناقض والصراع لذلك الطفل .. فقد شابت ظروف
ديانته وقوميته النمسوية أن تجعله فى امسراطورية
قرانسوا جوزيف .. عرضة هو وآله للاضطهاد والتعقب
ومصادرة الرزق والالتواء بالحقوق المدنية حتى اضطر
ابوه أن يهاجر به الى فيينا ، واضطر اخواه الكبران
للهجرة الى انجلترا .. فأبوه واخوته كانوا من أهل
صناعة النسيج ..

وتتم الصورة بأن يكون الانقلاب الصناعى على أشده
عند مولد سيجموند ، فتضطرب الاصول الاقتصادية
والاجتماعية ، وتهتز التقاليد الزراعية والقروية
والبورجوازية عموما .. بل يهتز فى نفس الفتى مفهوم
الوطنية ومفهوم التعاطف الاجتماعى ، ولا يكسونه
ملاذ سوى حنان امه الفياض ..

وفى العام الثالث من عمره ، ولدت شقيقته الصغيرة
فعرف الأسرة كما عرف التدليل .. ولهذا السبب ظل
فرويد الى ختام حياته يقول : ان أسعد وأجمل أيام
عمره هى السنوات الثلاث الأولى من مراحل طفولته فى
فرايبورج ..

والمعنى الخفى يتضح حين ينادى فى كتبه العلمية ان
الاساس التكوينى للحياة النفسية عند الانسان يتم فى
السنوات الثلاث والاولى من العمر ، وقد ظل يحلم
بمواقف من تلك المرحلة الى ما بعد ذلك بأربعين عاما
تقريبا أحلاما واضحة ، كانت عنصرا أساسيا من عناصر
كتابه الباهر « تفسير الأحلام » ..

وفى فيينا ، شاء القدر لسيجموند فرويد الشاب ان
يلتقى بأستاذ خارق للمادة فى تأثيره الشخصى هو
« ارنست بروكه » الذى يشير اليه فى أحلامه بأنه الشيخ
« بروكه » أو « بروكه » المجوز .. فقد كان ذلك الرجل
فنانا فى مغامراته وبحوثه العلمية ، يعتمد على فطنته
وبصيرته الملهمة .. فكان أشبه شئ فى روحه الشاعرة
بالفرنسى العظيم « باستير »

وفى معمل « بروكه » لوظائف الاعضاء قضى سيجموند
فرويد ستة أعوام يعمل ليل نهار ، وقد بهرته الأبحاث
الفسولوجية الطريفة ، وقد وجهه « بروكه » الى دراسة
المنخ والاعصاب .. وأدى ذلك الى توضيح غير هيئة من
الطالب الفقير الذى كان اول فرقتة طوال مراحل
الدراسة ، وهذه التوضيح أنه تخلف بضع مرات من
دخول امتحان اجازة الطب ، فلم يحصل على تلك
الاجازة الا بعد ثمانية أعوام من الدراسة بدلا من خمسة
أعوام على الأكثر ..

وهنا تظهر أريحية الاب الذى ترك لابنه العنان ، وهو
معسر .. مع ان العمل فى تلك الأبحاث لم يكن ليؤدى
الى أية مزية مادية ، ولا سيما فى نظر رجل من رجال
الصناعة ..

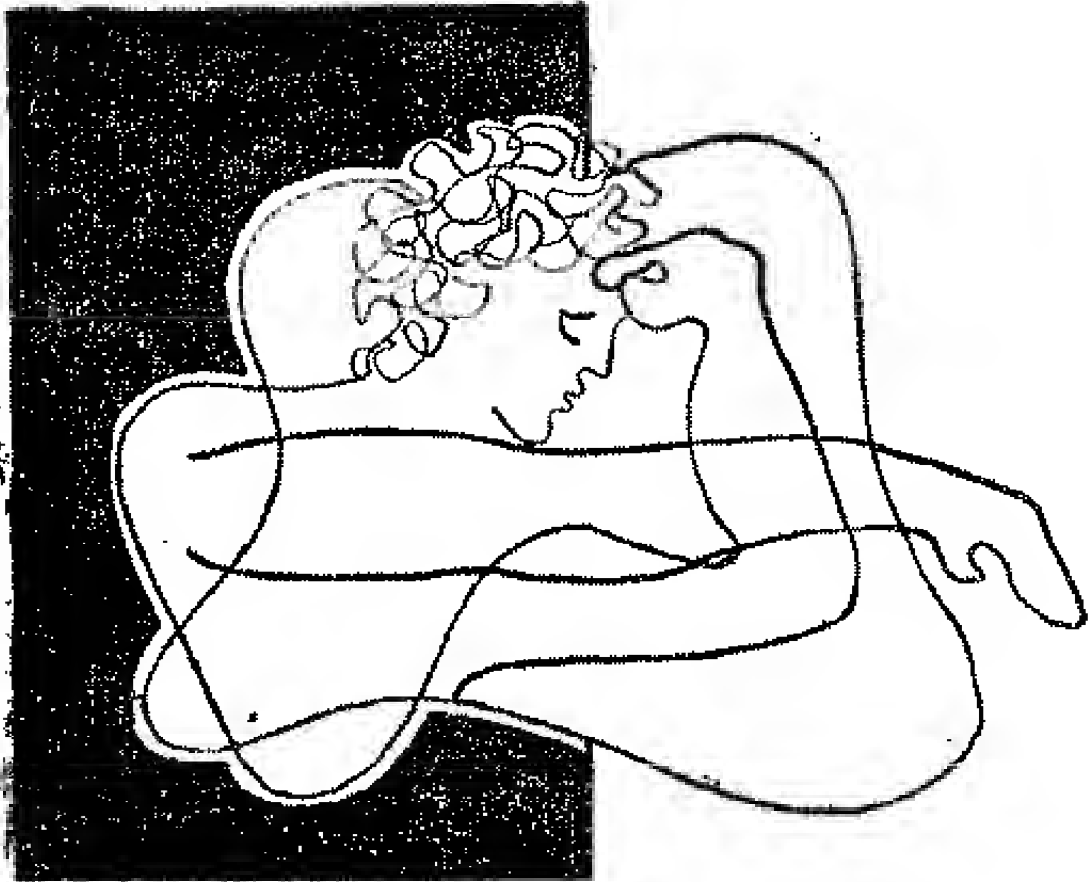
وبعد التخرج لم يعمل بالطب الا قليلا .. والتقى
وهو طبيب امتياز بعالم آخر هو « ماينرت » الذى وجهه

الى جراحة المخ ، وسهل له - بعد ذلك - الحصول على
منحة دراسية في باريس ليدرس الامراض العصبية على
يد العلامة الفرنسي الكبير « شاركو » ..
وفي سبيل تلك الدراسة ضحي فرويد بتضحية
أخرى عاطفية ، اذ اجل عقد زواجه خمسة أعوام ..
وعاش في باريس في رهبانية علمية ، وجرب بنفسه
معنى الكبح لفريزته وفاء لخطيبته ..
ومهما اختلفت الآراء في سيجموند فرويد فهو من أكثر
الناس تأثيرا في التيار العلمي .. ولا محيص من الاعتراف
بأن العلم بعد فرويد غير العلم قبل فرويد ، ولا سيما
فيما يتصل بجميع وجوه الحياة النفسية
والرجل بعد ذلك مثقف ثقافة واسعة ، ومحفوظاته
من الشعر في جميع اللغات الحية تثير الدهشة .. وفطنته
الفنية خارقة للمعتاد ، ولكن الكتاب علمي في مادته
واسلوبه ومنهجه لا يقدر على هضمه الا أهل الصناعة
المتخصصين ، فكانت مهمتي الاولى أن اجعل منه خلاصة
ميسرة للمثقف العادي من سواد القراء في لغتنا العربية ..
وقد المنا في هذا الكتاب بأطراف الموضوع ، وتركنا
جانبا ما لا يشغل الا المتخصص ، حتى تأتي هذه الصفحات
سائغة المذاق منطقية على خلاصة شاملة للباب ذلك البحث
الخطير ..

دكتور نظمي لوقا

الفصل الأول

القرآن العاصي والأهلام • السبيل إلى التأويل
عام يوليو سنة ١٨٩٥



التراث العلمى والاحلام

ان هدفى الاول ان اثبت بصورة قاطعة ان تفسير احلامنا على ضوء المنهج النفسى امر مستطاع ، وان اتباع ذلك المنهج كفيل ان يدلنا على الصلة بين موضوع احلامنا وما تضطرب به نفوسنا من الشواغل .. حتى اذا تم لى الوصول الى هذه الغاية بينت للقارىء كيف ان ما يتراءى لنا فى الاحلام لابد ان يلتوى مبناه وتضمن معالنه بتأثير من النشاط النفسى ذاته

والاهتمام بمادة الاحلام قديم قدم النفس البشرية .. بل ان الشعوب البدائية كانت تهول من امر الاحلام وما يتراءى فيها تهويلا لا نعهده لدى ابناء الحضارة ، وتلاحظ ان القدماء على العموم كانوا يعتقدون انهم يرون فى منامهم صورا ترد عليهم من عالم ما فوق الطبيعة .. فالاحلام انما هى رسائل كائنات الهية فوق مستوى البشر .. وتعبّر عن تلك الارادات الخارقة للطبيعة ، ولذا كانوا يهتمون بما يرونه فى احلامهم ليعرفوا عنه مدلولات الغيب وما سطر لهم فى لوح القدر ..

وهكذا ما كان القدامى من العلماء يسمونه فن « التاويل » او فن « العرافة » ..

ثم جاء ارسطو بتفكيره العلمى ، فكان اول من ارسى وجهة النظر النفسية فى دراسة الاحلام ، وكان المعلم الاول حاسما فى قوله ان الاحلام ليست رسائل ترد

علينا من الآلهة ، وأنها لا تكشف لنا شيئا من المصادر الخارقة للطبيعة .. وإنما الأحلام عنده لون من النشاط النفسى يصدر عن النائم بحسب الظروف التى يكون عليها فى نومه ..

وادخل أرسطو عنصر التجريب ، كما استفاد من التجارب العارضة ، لتكوين رأى واقعى عن الأحلام .. فيذكر أن الحالم قد يتعرض لمؤثرات وهو نائم ، فيجسم الحلم هذه المؤثرات ويضفى عليها المبالغة والتهويل .. ولربما رأى النائم أنه يشوى وسط حريق ذات لهب ، ثم يستيقظ فإذا بطرف من أطرافه قد عرضت له بعض السخونة لسبب من الأسباب كاقترابه أو تعرضه للظي المدفأة أو حرارة المصباح .. !

وما أوسع الشقة بين هذا التفكير الواقعى المتزن وبين قول من سبقوه أن الحلم لا تحدثه النفس النائمة ، بل يرد على تلك النفس من لدن الآلهة فى عالمهم العلوى .. ولم يندثر هذا الرأى البدائى ، بل ظل سواد الناس يرون الأحلام على ضربين : فالضرب الأول منها ، ما ينتج عن شواغل الشخص الحاضرة .. كأن يحلم الجائع أنه ينال شبعه من وليمة حافلة باطياب الطعام ، أو يحلم الخائف بكابوس يروعه ، وليس لهذا الضرب من الأحلام دلالة تنبؤية تنصرف الى المستقبل .. وأما الضرب الثانى من الأحلام ، فلا ينصرف الى الحاضر بل ينحو الى المستقبل ، ويكشف النقاب عن جانب من محجبات الغيب ، وهذا الضرب من الأحلام قد يأتى على صورة بشارة ، أو نذير مسموع فى الحلم ، أو رؤيا تصـسـور ما سيحدث بعد حين بصورة واضحة مباشرة لا تحتاج الى تأويل .. وأمسا أن يكون رمزا يتأوله أهل الدراية هذه النظرة الى الأحلام عاشت قرونا طويلة .. ولم

تزل صاحبة السلطان عند الاكثرين من عامة الناس في كل مكان ، وهي نظرة كان من الطبيعي أن تتراءى لاقوام يرون العالم كله مسيرا بإرادة أو أرادات خارجة .. فلا عجب أن تسقط هذه النظرة على عالم آخر غير عالمنا اشياء لا مصدر لها الا دخيلة النفس ..

ومع هذا لم تعدم الاحلام علماء يحاولون معالجة الموضوع بالعقلية العلمية ، وسنعرض الى نماذج من تلك المحاولات تبين لنا معالم الطريق التي تسلكها بادئين من حيث انتهى اولئك السلف ..



وأول رأى تتناوله يدنا هو ما كتبه أحد علماء وظائف الاعضاء القدامى وهو « بورداخ » :

.. ان الحلم ليس تكريرا لما يمر بنا في اليقظة من خير أو شر ومتعة أو تقزز .. بل العكس هو الصحيح ، فالأرجح ان الحلم يرمى الى تفرغ عقلنا من كل هذه الانطباعات كي يوفر لنا الراحة من عبء شحنات اليقظة بما فيها من خير وشر ..

وهذا رأى يكاد يكون فريدا في بابهِ ، لان الكثرة من المؤلفين والكتاب يرون في الحلم نوعا من الاستمرار لما كان يشغل النفس في حال اليقظة .. فهذا « هافنر » يقول :

.. الحلم ان هو الا استئناف على نحو ما لحياة اليقظة ، واذا تأملنا احلامنا وجدنا أن هناك باستمرار صلة بينها وبين الامور التي كانت تشغل تفكيرنا قبل النوم ، ومهما خفيت تلك الصلة ، فالملاحظة الدقيقة تستطيع أن تدلنا على اتصال ولو دقيق بين ما رأيناه في الحلم وما وقع لنا في النهار السابق ..

ولعل « فيجانت » كان أشد الجميع وضوحا في معارضة رأي « بورداخ » فيقول :

— ان الحلم لا يبعد بنا عن الواقع ، بل هو على العكس يعود بنا ونحن نيام الى ما ابتعدنا عنه من شواغل اليقظة ..

أما الفيلسوف « ي . ناص » فيقول :

— اننا في الغالب ندور في أحلامنا حول الموضوعات التي كان لها أكبر الأثر في وجداننا .. وهذا يدل على أن مشاركتنا لها دخل كبير في خلق أحلامنا .. فمن كان طموحا دارت أحلامه حول أكاليل الفار ، ومن كان عاشقا دارت أحلامه حول معبودة قلبه !

وهذه الأقوال المقتبسة كافية لبيان التناقض في تحديد العلاقة بين مادة الأحلام وحياة اليقظة .. ذلك التناقض الذي لفت نظر « هيلد برانت » فكتب يقول :

— ان الحلم شيء مقتطع من الواقع الذي نعرفه في يقظتنا اقتطاعا تاما .. حتى انه يسوغ لنا أن نقول ان الحلم له وجوده المستقل بذاته كالجزيرة المنعزلة من الشاطئ ، وبينهما بحر لا يمخر له عباب .. فالحلم بهذه الصفة يسدل على الواقع المألوف ستارا كثيفا ، ويحررنا من سلطانه ، ويجعلنا نعيش في فترة الحلم قصة مختلفة التركيب كل الاختلاف عن قصة حياتنا الحقيقية ..

ولكن في الوقت نفسه ، نلاحظ ان هناك تيارا في الأحلام يرتبط بواقع اليقظة مما يدل على ان استقلال الحلم عن اليقظة ليس استقلالاً تاماً .. بدليل أن الوقائع المفردة التي تتكون منها قصة الحلم مستمدة حتما من تجاربنا الذهنية التي تكونت في اليقظة ، ولذا فهمما بلغت درجة الحلم من الغرابة ، أو السخافة فلبينات بنائه مستعارة

حتما مما رآته أعيننا أو خطر لبالناس ونحن نمارس
نشاطنا الواعى ..



ولكننا نلاحظ أحيانا ما يبدو متعارضا مع ذلك
الرأى الآخر .. واعنى بذلك أننا قد نرى فى الحلم بعض
التفاصيل التى نعتقد أنه ليست لدينا فكرة عنها فيما
سبق من خبرات اليقظة ..

وأطرف مثل أمره لذلك ما رواه « ديلبوف » من أنه
رأى فيما يرى النائم أن الثلج قد غمر قناء منزله ، فطمر
- فيما طمر - اثنتين من الزواحف الصغيرة من نوع
الحرباء حتى أوشكتا أن تتجمدا .. فرق لهما قلبه ،
ورفعهما من الثلج ، ويسر لهما التدفئة ، ثم وضعهما فى
طاق بالجدار ، وقدم إليهما من الاوراق الخضراء لنبات
وجد نفسه وهو فى الحلم يعرف اسمه اللاتينى بدقة ..
ونظر الى الحرباءين فاذا موتب من تلك الزواحف الصغيرة
يتسلق الحائط زاحفا نحو الطاق .. !

ولما استيقظ « ديلبوف » من ذلك الحلم ، عجب أشد
العجب لأنه لم يكن يعرف فى يقظته الاسم اللاتينى لذلك
النبات الأخضر .. وأخذ ينقب فى القواميس ، وإذا به
يجد الاسم الذى عرفه فى الحلم صحيحا !

ولم يكن من المستساغ تفسير ذلك بعامل الصدفة ..
ولذا شعر « ديلبوف » بأن فى الأمر لغزا ، وظل هذا
اللفز يحير الفيلسوف بغير جدوى ستة عشر عاما الى أن
ذهب لزيارة أحد أصدقائه ، فرأى عنده البوما به نماذج
من الازهار المجففة التى تباع فى سويسرا للسائحين ،
وعلى الفور تذكر شيئا قديما جدا يرتبط بهذا السجل
السياحى ، ففتح بهلة وأذا به يجد نموذجا لذلك
النبات الذى رآه فى الحلم ، ووجد تحته ذلك الاسم

اللاتينى مدونا بخط اليد .. وبخط من ؟ .. بخط
« ديلبوف » نفسه !

وعندئذ فقط عرف « ديلبوف » حل اللغز الذى حيره
سته عشر عاما .. فقبل حلمه بعامين كانت أخت صديقه
الذى يزوره فى ذلك اليوم تقوم برحلة شهر العسل ،
ومرت فى طريقها ببيت « ديلبوف » ونزلت ضيفه عليه ،
وقد أحضرت معها من سويسرا ذلك الالبوم وفى نيتها أن
تهديه الى أخيها ، وتذكر « ديلبوف » أنه ساعد العروس
بأن كتب بخط يده تحت نموذج كل نبات فى الالبوم اسمه
العلمى باللاتينية مستعينا فى ذلك بأحد المتخصصين فى
علم النبات ..



وهذا يبين لنا أن ما نظنه لغزا فى الحلم ، لابد أن يكون
ذكرى واقعية منسية !

ومن طرائف الاحلام أيضا أن ما يعجز عن التعرف اليه
فى حلم ، قد يقوم حلم آخر بدور المذكر فيه ، ومن ذلك
ما رواه أحدهم :

— رأيت فيما يرى النائم ، ذات مرة ، حسناء ذهبية
الشعر تطلع أختى على قطعة من أشسغال التطريز ،
وشعرت فى الحلم أن وجه هذه السيدة غير غريب عنى ،
وأنتى لابد قد رأيتها من قبل أكثر من مرة ، ولما صحت
من النوم ، ظل وجه هذه الحسنة مائلا أمامى بوضوح ..
ولكن ذاكرتى لم تسعفنى بالتعرف على شخصيتها ،
فبُست من ذلك ، واغمضت عيني مرة أخرى .. ولم
البث أن استغرقت فى النوم ، وإذا بى أرى الحلم السابق ،
وإذا بى أنتهز الفرصة وأسأل تلك السيدة وأنا فى الحلم
أين مسأى رأيتها من قبل ؟ .. فدهشت وقالت لى : هل
تسيت حقا شاطئ البحر فى موضع كذا ؟ .. وعندئذ

صحوت من نومي ، واستطعت في هذه المرة أن أستعيد في ذاكرتي كل ما يتعلق بظروف تعرفني الى هذه السيدة الحسنة ..

وبديهي أن فترة الطفولة هي أهم مورد تستمد منه الاحلام التفاصيل المهجورة والمنسية ، بحيث أن الشخص يعجز في كثير من الاوقات عن تذكر خبراته السابقة ، ويظن أن الحلم أثناءه بمعجزة ليس له بها سابق عهد .. ولعل من المناسب أن أذكر في هذا الصدد حلما لي شخصا ، فقد رأيت فيما يرى النائم رجلا أدركت أثناء الحلم أنه طبيب مسقط رأسي ، ولكن ملامحه في الحلم لم تكن واضحة ، بل كانت متداخلة في ملامح مدرس كان يعلمني وأنا في المدرسة الثانوية .. وما زلت التقى به الى اليوم ، فلما قمت من النوم أدهشني أن تتداخل ملامح هذين الرجلين ، وذهبت أسأل أمي عن شكل ذلك الطبيب الذي كان يعالجنى في طفولتي الاولى ، وكانت قد انقضت عند حدوث ذلك الحلم ثمانية وثلاثون عاما منذ آخر مرة رأيت فيها ذلك الطبيب ، واعتقد أنه لم يخطر على بالي مرة واحدة خلال تلك الاعوام التي تقارب الأربعين ، فقالت لي أمي : ان ذلك الطبيب كان أعور ، وأدركت على الفور سر تداخل ملامحه في ملامح ذلك المدرس ، لان المدرس أيضا كان أعور !

ويلاحظ الدارسون أيضا أن المادة التي ينتقيها الحلم ليست عادة هي أهم الذكريات وأخطرها شأنًا من وجهة نظرنا في حال اليقظة ، بل هي في الغالب اتفه التفاصيل وأكثرها خفاء ومغموضا ..

وفي هذا الصدد يقول « هيلد برانت » :
— ومن الملاحظ الذي يسترعي الدهشة أن الحلم

لا تتخير عناصره من أكثر الاحداث جلاء واثارة ، بل من نفاية التفاصيل التى أهملتها سجلات الذاكرة اذ غبر عليها الزمن .. ولذا نشاهد انه قد يعصر الحزن قلوبنا لمصاب عاقل فادح ينفى عن اجفاننا النعاس موهنا من الليل .. حتى اذا أخذ الكرى اخيرا بمعاقده الاجفان ، اذا بنا لا نرى فى الحلم شيئا يتصل عن قرب او بعد بذلك المصاب الجلل كأنما ضاق عنه من رقعة الحلم ما يتسع لندبة مضحكة فى وجه انسان غريب رأيناه عرضا بين عابرى السبيل ، ولم يشغل من اهتمامنا الا اقل القليل !



وقد احتدم الخلاف بين المؤلفين حول مصادر الاحلام، ولكننا نستطيع أن نلخص آراء العلماء الى أربعة من تلك المصادر هى :

- ١ - اثارات حسية تأتي من خارج الجسم
- ٢ - اثارات حسية تأتي من الجسم ذاته
- ٣ - اثارات عضوية باطنية
- ٤ - اثارات نفسية خالصة

وكلنا نعرف بالتاكيد النوع الاول من هذه الاثارات التى تحدث لنا ونحن نيام ، فقد يسقط ضوء ساطع فوق وجوهنا ، او تصل ضوضاء الطريق او الجيران الى آذاننا ، او تثير رائحة نفاذة اغشية أنوفنا ، او ينكشف الغطاء عن جزء من أجسامنا ، او يلتوى لنا ذراع تحت جنوبنا ، او تلدغنا إحدى الهوام ، وفى هذا الصدد كتب «يسن» :
 ... كل صوت لا تميزه أذن المرء تماما ، وهو نائم ، لابد أن يثير صورة تتسق معه فى الحلم .. فمن يسمع هدير الرعد وهو نائم حري أن يحطم بساحة القتال ، ومن يسمع صياح الديك يخاله أصوات استنفائة ، أما اذا

تكشف جزء حساس من الجسم أثناء الليل وأصابته
قشعريرة البرد ، فما أحرى النائم أن يحلم حينئذ أنه
يمشي في الشارع هاريا أو يسقط في بركة من الماء البارد،
ومن يدخل رأسه تحت الوسادة وهو يتقلب جدير أن
يحلم بصخرة عظيمة تتراجع .. وهكذا

ويروى « ماير » أنه رأى في الحلم ذات ليلة عصابة من
الرجال يهاجمونه ويلقون به على الأرض ، ثم يدقون
مسمارا كبيرا بين أصبعي قدمه ، وفجأة استيقظ من
نومه ، فإذا به يجد عودة من القش قد دخل بين هذين
الأصبعين عفوا !

ولا حاجة بنا الى الاستطراد في ذكر التجارب الطريفة
الكثيرة التي أجريت في هذا الموضوع ..
وكلنا نعرف كذلك أنواع الأحلام التي مصدرها
احساسات في داخل الجسم مثل الجوع والعطش والرغبة
في التبول ..

وقد آن لنا الآن أن نعرف لماذا يأتي النسيان على
معظم الأحلام بعد اليقظة ، فما أكثر ما نشعر أننا حلمنا
ولا نتذكر بماذا حلمنا .. وحتى ما نتذكره غالبا ما يكون
ناقصا مشتتا بحيث نشعر أن ما احتفظت به ذاكرتنا
من الحلم جزء ضئيل مما أتى عليه النسيان ..

ومع هذا فهناك أحلام تثبت في الذاكرة بشكل غريب ،
وأستطيع على ضوء تجربتي الخاصة أن أقول أنني حللت
أحلاما لرضاي تراث لهم في منامهم قبل ربع قرن أو
أكثر .. بل وأستطيع أنا شخصا أن أذكر حلما معيناً
لى رأته منذ نحو أربعين سنة ، ومع ذلك لم يزل حيا
ناظرا في ذاكرتي .. وهو تناقض غريب ليس من السهل
على الدهن أن يجد له تعليلا مقبولا إلا بعد أعمال الرأي

ويقرر الباحثون أن تذكر الأحلام تكتنفه صعاب كثيرة ،
لأننا نميل في حال اليقظة الى ملء الفراغات الموجودة في
الحلم بأحداث أو أقوال متخيلة ونحن لا ندري .. لأن
العقل الانساني يميل الى الربط بين الاحداث المتفرقة
برباط منطقي ، وهذا من شأنه أن يزيد في صعوبة اعتمادنا
على الأحلام باعتبارها واقعا نفسيا يفيد في التحليل
والعلاج ..

ومهما يكن من شيء ، فإن للحلم خصائصه السيكولوجية
التي تختلف عن خصائص التفكير العقلي .. فالتفكير
العقلي يتوالى في تصورات أو معان مجردة وهو في حال
اليقظة ، أما في حال الحلم ، فإن الفكرة تتشكل في صورة
متحركة ناطقة وكأنها تتسلل متحررة من سلطان العقل
المنطقي لتعيش متحررة بعيدا عن رقابة الإرادة الواعية ،
ولذا لا نعتقد ونحن نحلم أننا نفكر .. بل نعتقد أننا
نعيش فعلا ، ولذلك يركبنا اللعبر من المخاوف في الحلم ،
ويستطيرنا القرح للاحداث السارة ، ولا نعرف أننا لم
نكن نعيش حقا تلك التجارب الا بعد أن نستيقظ ، ونجد
أن ما مر بنا في الحلم لا يتسق مع الواقع الذي يحيط بنا
في حال اليقظة ، وعلى هذا الأساس ربما جاز لنا أن نعلل
الفارق بين الحلم واليقظة بأن النشاط النفسي أثناء
النوم ناقص متحلل من سلطان الإرادة ورقابة العقل
المنطقي ، ولذا يأتي الحلم مفككا حاسفلا بالمتناقضات
لا يعرف معنى للمستحيل .. وهكذا يجعلنا الحلم نصدق
ما لا يمكن تصديقه ، ونأتي من الأفعال ما لا نستطيع
الاقدام عليه ونحن في اليقظة .. فكاننا بلهاء سسفهاء ،
ويؤكد بعض الباحثين أن أكثر من ٩٠ ٪ من الأحلام
خالية من المعنى المعقود أو الترابط المنطقي .. ولكن
ينبغي ألا نفعل رأى رجل مثل « دافيدسون » استطاع

أن يدرك — بلمحة عقلية — الخاصة المميزة للأحلام :
— أن أحلامنا تحتوى على قفزات وطفرات لا نعرف
لها تعليلاً .. ولكن هذه الطفرات لا تحدث بلا سبب ،
بل نجد لها تفسيراً في قانون تداعى المعانى أو الخواطر ..
فإن كل فكرة في الحلم تثير الأفكار الأخرى المقترنة بها في
الذاكرة مثل التشابه في الاسم أو في صفة من الصفات ،
ولكن عقلنا المنطقى لا يدرك هذا الاقتران فيظنه هديانا
ومن الملاحظ أيضاً أن الإنسان في الحلم قد يقدم على
أعمال في منتهى السمو لا يأتيناها عادة — وهو في حال
اليقظة — فكانه شخص مثالى ، وقد يحدث في أحلام
أخرى أن يكون نفس الشخص في منتهى الانحطاط
والمجون .. وفي الحلم يمكن أن يقال أن كل شيء جائز !



والآن نحب أن نتساءل عن مدى خضوع الأحلام للقيم
الخلقية .. وأول ما يحضرنا هو قول « يسن » :
— لا وجود في الحلم لشيء اسمه الضمير .. فالقاتل
قد يقدم في الحلم على السرقة أو القتل أو الاغتصاب وهو
لا يبالي أو يستشعر ندماً
ويقول « فولسكت » :

— لا تعرف الفرائز الجنسية في الحلم أى نوع من
السكج .. فلا حياء ، ولا رادع ، ولا منطق .. بل أن
الأشخاص الآخرين أيضاً الذين يراهم في الحلم كثيراً
ما يكونون في صورة أخلاقية مريضة ..

ولكن « شوينهاور » يرى غير ذلك الرأى فهو يؤكد
أن كل إنسان يتخذ لنفسه في أحلامه من السلوك ما يوافق
طبعه ، فالعفيف عفيف ، والطائش طائش ، والحسود

حسود ، وهكذا .. وكل ما هناك ان النوم يخلع عننا
قناع التصنع والرياء ، فتبدو حقيقتنا الباطنة على ما
هى عليه .. فيصارع كل منا نفسه بما لا يجسر على
التصريح به وهو فى حال اليقظة



السبيل الى التأويل

ان هدفى من هذا الكتاب ان اقيم الدليل على ان الاحلام ليست خالية من المعنى ، وانه يمكن الوصول الى تأويل لها . . وان كان هذا ينساقض معظم الآراء العلمية وشبه العلمية . . فصا من احد كان يرى فى الاحلام شيئا منطقيا معقولا من معدن المعقولات البشرية الممهودة لنا ، وان كانوا مع هذا يرونها ذات مغزى غير طبيعى . . فمنهم من يربط بين هذا المغزى وبين عالم الغيب او دنيا الالهة وعلامات القدر والنذير ، اما انا فارى الاحلام مجرد علامات تدل على عمليات نفسية وفعلية ، وما علينا الا ان نعثر على مفتاح « شفرة » هذه العلامات حتى نصل الى المعنى الحقيقى والطبيعى للاحلام والناس ، من قديم ، يجتهدون فى تفسير الاحلام على حسب اعتقادهم فى دلالاتها الخارقة ، فكانت مناهجهم غير علمية . . فمنهم من يفسر الحلم كان حوادثه رموز ، وهذا منهج لا يجدى الا فى الاحلام ذات الترتيب والتناسق الى حد ما . . اما الاحلام الفامضة والمفرطة فى شطحاتها ، فلا سبيل الى علاجها بالمنهج الرمزى . . ولعل افضل مثال للمنهج الرمزى ، هو تفسير سيدنا يوسف لحلم فرعون مصر كما ورد فى التوراة : انه رأى سبع بقرات سمان ترعى على شاطئ النيل ، ثم خرجت عليهن فى جوف النيل سبع بقرات مجاف اكلن البقرات

السسمان ، وعجز المفسرون والكهان عن تاويل تلك الرؤيا ، بيد أن يوسف الصديق تمكن من حل رموزها ، وقال لفرعون أن حلمه يؤذن مصر بسبع سنوات من الخير الوفير في الغلات والثمار ، ثم تعقبها سبع سنوات من القحط تأكل الأخضر واليابس ، وأن عليه أن يدخر في سنوات الوفرة ما يسد الحاجة في سنوات الجوع

ومعظم الاحلام التى ترد في الروايات ، من تأليف الادباء ، انما هي من نوع هذا الحلم الرمزى ذى المدلول المعقول . . لان الاعتقاد الراسخ في الازهان أن للاحلام دلالة غيبية ، وانها نذير سوء أو بشير خير . .

وليس لهذا التاويل الرمزى لمضمون الحلم أو الرؤيا أى منهج علمى ثابت ، وانما المعول فيه على الفطنة والذكاء والفراسة . .

وهناك منهج للتفسير يؤمن به كثيرون من العامة ، وهو منهج ثابت يكاد يكون له قاموس متوارث في كل بلد على حدة . . فالخطابات معناها نذير نحس ، والمآتم معناها خطبة أو زواج ، وهكذا . . وعنى بعض المؤلفين القدامى بهذا النوع من التفسير ، ووضعوا قواعد تقريبية كثيرة له . .

وأنا لا أعارض في أن للحلم مغزاه ، سواء كان متماسكا أو مفككا ، وهذا المغزى هو ما توصلت اليه بمنهجي الجديد بعد أن انصرفت سنوات طويلة الى فحص حالات المرضى النفسيين والعصبيين . . فقد كان هؤلاء المرضى يقصون على اخلاصهم فيما يقصون على من خواطروهم ومخاوفهم أثناء جلسات العلاج . . فكانت تلك الاحاساس من بين ما استعنت به على الوصول الى أسباب اختلال توازنهم النفسى

وقد لاحظت ، أثناء ذلك ، أن المريض وهو يسرد ذكرياته

بلا روية أو ربط يكون في حالة نفسية مختلفة عن حالته وهو يراقب أفعاله وخواطره وينسق بينها .. فهذا التنسيق معناه الانتقاء ، بحيث يحذف بعض الخواطر فلا يروىها ، ويحور بعضها الآخر ، ويروى البعض الثالث على علته إذا كان راضيا عنه ..

ولعل خير حالة للسرد بلا انتقاء ، هي حالة الاستعداد للنوم ، أو حالة التنويم المغناطيسى إذا أمكن ذلك .. لأنه قبل النوم مباشرة تنثال الأفكار في غير حذر ، وهذه الخواطر التي تسبق الاستغراق في النوم هي التي تكتسى باللحم والدم ، وتتحول الى صور متحركة ناطقة أثناء النوم .. وهذا ما يسمى بالحلم

وليس جميع الناس سواء في سهولة هذا « الانشغال » للخواطر الحرة .. فمنهم من تتوفر له رقابة أقوى من المعتاد ، فتظل قائمة بوظيفة المنع والكف والمصادرة والتحويل أثناء النوم ، للحيلولة بين بعض هذه الخواطر والظهور في عالم الوعي ، ولو أثناء الرقاد ..

ووجود هذه « الرقابة » هو الذي يمنعنا من اتخاذ الحلم في جملته موضوعا جديرا بالثقة والتأويل ، بل تكتفى بأخذ مفرداته وعناصره جزءا جزءا ، ونحاول أن نصل الى مغزى كل جزء على حدة ..

ولا يقل عدد الأحلام التي حطتها وفسرتها لمرضى أثناء العلاج وقبل تأليف هذا الكتاب عن الالف حلم .. ولكنى لا أميل الى استخدامها في هذه المرحلة التمهيديّة من البحث ، لاني أعلم أن البعض سيسخرون منها ويرفضونها من حيث الشكل قائلين أنها مجرد تخريف مرضي بأعصابهم .. والمريض لا يصلح حجة على السليم ، والشاذ ليس مقياسا للطبيعي ..

وما دام الامر كذلك ، فليس أمامي فرصة للاختيار ..

انى لا املك اذن الا احلامى الخاصة التى تتراعى لى مثل
سائر الناس فى الاحوال العادية ، رغم ما فى هذا « التحليل
الذاتى » من صعوبات لا أنكرها ، وليس أقل هذه
الصعوبات شأنًا انى سأضطر للكشف عن جوانب من
أسرار حياتى الشخصية ، ولكنى لا أجد مناصًا من
ذلك ، وان كنت سأحاول الا اكشف عن أمورى الخاصة
الا القسط الذى لا بد منه للمضى فى التفسير وبيان مراحل
منهجي فى التأويل ..

ولى فى غيرى من العلماء أسوة حسنة ، وقد عبر
« دليوف » عن هذا المعنى أحسن تعبير حين قال :
— يجب على رجل العلم أن يكشف عن أوجه النقص
فى نفسه بلا تردد ، اذا ما وجد فى ذلك فائدة هامة توضح
بعض المشكلات العلمية

وأنا واثق أن القارئ سينترك الفضول بالنسبة
لخصائص حياتى ويوجه اهتمامه كله الى المادة العلمية
التي توضحها له تلك الأحلام

ولذا أرجو القارئ وأنا على وشك أن أبدا برواية حلم
نموذجي من أحلامي أن يعيرني اهتمامه ، ويشغل نفسه
بأمري ، حتى يتمكن من الفوص معنى فى دقائق المغزى
الكامن للحلم ومناصره ..
والآن .. الى ذلك الحلم ..

حلم يولية ١٨٩٥

في خلال صيف عام ١٨٩٥ ، كنت مهتما بعلاج سيدة شابة من صديقات أسرتي ، وكان العلاج بالتحليل النفسي الذي تابرت منذ حين على مزاولته ، ووصلت بالعلاج الى مرحلة تعتبر نجاحا لا بأس به في حالتها .. ذلك انها شفيت من الاضطراب الهستيري ، ولكن الاعراض الجسدية لذلك الاضطراب لم تزل تماما ، واقترحت عليها خطة لم تحز قبولها ، فقررنا ارجاء العلاج الى ما بعد اجازة المصيف ، وسافرت المريضة - واسمها « ارما » - الى المصيف مع أسرتها ..

وبعد فترة من الزمن جاء لزيارتي زميل شاب تربطني به صداقة وثيقة ، وكان قد قضى بضعة أيام في المصيف ضيفا على أسرة « ارما » ، فسأله عن حالتها .. فأجابني جوابا امتعضت منه بعض الشيء :

- انها بخير .. ولكن ليس كل الخير طبعاً ..

فقد خيل الى أن وراء لهجة هذا الرد تقريرا خفيا أو انها بالتقصير ..

وسهرت تلك الليلة في اعداد تقرير عن حالتها ومراحل مرضها وعلاجها ، اعتزمت أن أقدمه للدكتور « م » الذي نحترمه جميعا ونكبره ، وهو صديق أسرتي وأسرة ارما الموقر ، حتى أنفي عن نفسي كل شائبة تقصير .. وفي نهاية هذه الليلة - قبيل الصباح - رأيت ذلك

الحلم ، وبادرت فور استيقاظي بتدوينته تدوينا مفصلا
دقيقا ..

واليكم ما دونته :

... كنت في بهو كبير نستقبل فيه كثيرين من الضيوف،
ومن بين هؤلاء الضيوف « أرما » ، وأسرع فالتحى بها
ركنا ، كائن أريد أن أرد على رسالة سابقة منها وأريخها
لأنها لم تقبل اقتراحى ، وأقول لها : أنت المسئولة وحدك
عن الآمك الحالية ، فترد قائلة : ليتك تدرى مبلغ الآلام
التي أشعر بها الآن في حلقى ومعدتى وأحشائي .. أنها
آلام خانقة .. فارتاع لما قالت ، وأتأملها فأجدها شاحبة
متورمة ، فأقول لنفسى : لأبد أتنى لم افطن إلى عنصر من
عناصر المرض ، عنصر عضوى .. وأذهب بها ناحية
النافذة لأرى حلقها ، فتتمنع قليلا كما تفعل النساء ذوات
الاسنان الصناعية ، وأحدث نفسى ان هذه ليست
حالتها ، وتفتح فمها على سعته ، فأرى بداخله قرحة
بيضاء على اليمين ، وفي مكان آخر أبصر قشورا كبيرة
مائلة إلى البياض فوق تجاعيد غريبة الشكل تشبه كثيرا
التجاويف الأنفية ، فأنادى الدكتور « م » فى الحال ،
فيفحصها بنفسه ويؤيد تشخيصى ، والدكتور « م »
ليس كهمدى به ، بل يبدو حائل اللون يطلع فى مشيته
وبلالحية ، وبها هو ذا الدكتور «أوتو» يظهر بجانب «أرما»
ويقبل الدكتور ليوبولد أن يفحصها ، فيدق صدرها من
فوق الثياب ويقول : هناك منطقة صماء فى الناحية
اليسرى ، ورشح من الجلد فى تلك الناحية أيضا لاحظته
أنا رغم أنها لم تخلع ثيابها ، ويقول الدكتور «م» : هذه
أصابة نتيجة عدوى .. ولكن لا بأس ، فسرعان ما
يزول التسمم وتلاشى الدوسنطاريا ، ونحن نعلم منشأ
العدوى : ان صديقى أوتو أعطاها حقنة منذ مدة من

حامض البروبيونيك .. ومن مركب آخر رأيت معادلته
الكيمائية مرتسمة امامي بحروف كبيرة ، وهذا النوع
من الحقن لا يعطيه الانسان الا للضرورة القصوى ، ثم
ان المحقن لم يكن نظيفا كما يجب ..

وواضح ان هناك ارتباطا كبيرا بين هذا الحلم وبين
ما حدث في اليوم السابق .. فالزميسل الذي قارنى
وامتعضت من عبارته هو الدكتور أوتو ، ثم اننى قبل
النوم كنت مشغولا بكتابة تقرير عن ارما ، ولكن هذا
لا يكفى لادراك مغزى الحلم .. فمرض « ارما » في الحلم
يختلف تماما عن المرض الذى كنت اعالجها منه ، وموضوع
المحقن غير النظيف والحامض وتعليقات الدكتور « م » كلها
أمر فارغة تثير الابتسام ، ولا تدل على شيء جدى لاول
وهلة .. فنهاية الحلم أشد غموضا من بدايته !

هذا كله جعلنى أصمم على « تحليل » ذلك الحلم تحليلا
دقيقا مهما كلفنى الامر من مشقة .. سأبدأ التحليل
جزءا جزءا ..

التحليل

« البهوء .. والضيوف الكثيرون الذين تقوم باستقبالهم »

اننا كنا قد اتخذنا مصيفنا في منزل فوق ربوة عالية
بالقرب من فيينا ، وكانت حجراته أشبه بالابهاء والقاعات
التاريخية ، وفي تلك الدار رأيت هذا الحلم .. وفي الليلة
التي تسبق عيد ميلاد زوجتى ببضعة أيام ، وكانت
زوجتى في اليوم السابق قد أخبرتنى أن ضيوفا سيأتون
للزيارة لتلك المناسبة ، ومن بين هؤلاء الضيوف الصديقة
« ارما » .. فكان الحلم قد اتخذ مسرعا له يوم عيد ميلاد
زوجتى حيث تقوم باستقبال عدد كبير من الضيوف في
بهو المنزل ومن بينهم « ارما » ..

**« توبيخ ارما لانها رفضت اقتراحى وتحميلها وحدها
وزر آلامها الراحنة »**

وهو كلام كان من الممكن أن أقوله « لارما » فعلا ، لان
اعتقادى فى ذلك الحين أن مهمة الطبيب النفسى تقتصر
على بيان سبب المرض للمريض ، وعلى المريض بعد ذلك
أن يصلح هذا العطب فى نفسه بانتباهه ، وقد عدلت فيما
بعد عن هذا الرأى ، اذ ثبت لى خطؤه ، وكانت ارما
ترفضه وترى أن أستمّر فى العلاج .. فمعنى هذا الجزء
من الحلم انى أتبرا من تبعة ما لم يزل من أوجاعها
**« ارما تشكو من آلام فى الحلق والبطن والاحشاء تكاد
تخنقها »**

وكانت « ارما » تعاني فعلا من بعض آلام خفيفة فى
المعدة ، أهم أعراضها الغثيان ، وأما أوجاع الحسلق
والاحشاء والاختناق ، فلم تكن من خصائص مرضها ،
ولست أدري لماذا اختار لها الحلم هذه الآلام بالذات !
« رايته حائلة اللون متورمة »

وهذا عكس حال ارما .. فهى دائما متوردة البشرة
**« يتتابنى الذعر وأخشى أن أكون قد اغفلت عنصرا
من عناصر المرض » ..**

وهذا الذعر مألوف لدى الاطباء المتخصصين فى
الامراض العصبية ، فهناك أعراض جسمية يرجعونها الى
علة النفسية ، ويرى الاطباء العاديون أن سببها مرض
عضوى بحت ، ولكن هذا الخاطر فى الحلم قد يكون
مصدره الرغبة فى تبرئة نفسى أيضا ، فما دامت آلامها
عضوية ، فليست مسئولا عن علاجها فى هذه المرحلة ..
لانى مسئول فقط عن الحالة العصبية ، وهكذا لا يكون
هناك وجه للومى على الفشل ..

« بجوار النافذة أحاول أن أفحص حلقها فتمانع ، كان أسنانها صناعية .. فأحدث نفسى أن هذه ليست حالها »

وليس فى حالة « ارما » ما كان يدعو الى فحص حلقها .. ولكن هذا الجزء من الحلم يذكرنى بحالة أخرى لسيدة جميلة شابة حضرت من قبل للعلاج ودعا الامر الى فحص فمها ، فلما طلبت اليها ذلك مانعت قليلا ، وعلمت ان أسنانها صناعية وتريد أن تخفى عنى تلك الحقيقة ، وأما قولى ان هذه ليست حالها فمرجه ليس الى « ارما » ، بل الى صديقة لها احترمها كثيرا .. ذرتها وكانت واقفة فى وضع مماثل لوضع « ارما » فى الحلم ، وكان طبيبها هو الدكتور « م » فعلا ، ومنه علمت أنها مصابة بأعراض مرض حلقى ، وتلاحظ أن الدكتور « م » ظهر فى هذا الحلم ، وأن مرض الحلق ظهر أيضا ، وأتذكر الآن أن هذه السيدة — كما علمت من صديقتها « ارما » — تعاني من اختناق عصبى ، وهى الحالة التى شكت منها « ارما » فى الحلم ، وهكذا أدرك أن « ارما » حلت فى الحلم محل صديقتها تلك ، وأتذكر أيضا أننى فى الأسابيع الأخيرة السابقة على الحلم ، كنت أتذكر هذه السيدة ويخطر لى أنها ربما طلبت منى أن أعالجها ، ثم استبعد هذا الخاطر لما عرفت به تلك السيدة من انطواء وحذر .. ومعنى هذا أنها ستمانع فى العلاج ، وهذا ما يفسر عنصر الممانعة الذى ظهر فى الحلم ، ومعنى ذلك أن « ارما » مثلت فى الحلم صديقتها تلك .. فما السبب فى ذلك ؟ قد يكون السبب أنى أضمر رغبة فى أن تحل تلك السيدة محل « ارما » فى العلاج لما أكنه لها من التقدير .. فأكبر الظن أنها ما كانت لترفض اقتراحى كما رفضته « ارما » التى أشعر بالسخط عليها لذلك السبب ، ومن أنواع الممانعة أيضا التى يرمز اليها عدم فتح الفم على سمته أننى اتهم

« ارما » بأنها لا تعترف لى بخواطرها كلها كما ينبغي ..
« وارى فى الخلق قريحة بيضاء عن يعين .. وعن يسار
ارى تجاعيد أشبه بالآغشية الأنفية تنتشر فوقها قشورا »
أما البقعة البيضاء فمن علامات الدفتريا ، وهذا
يذكرنى بمرض أصاب ابنتى قبل الحلم بعامين ، فسبب
لى قلقا فظيما ، وأما القشور المنتشرة فوق الأغشية
الأنفية عن يسار الخلق ، فتشير الى قلقى بسبب افراطى
يومئذ فى تعاطى الكوكايين ، وكان قد بلغنى منذ أيام أن
أحدى المريضات تعاطت الكوكايين مقتدية بى ، فأصيبت
بالتهاب وقروح فى غشائها الأنفى ، وكنت أنا أول من
أشار باستخدام الكوكايين للعلاج قبل الحلم بعشرة
أعوام ، فأثار ذلك سخط الكثيرين وهاجمونى فى الصحف
الطبية ..

« وحضر الدكتور - - - - - (م) » وأعاد الفحص فأيد
تشخيصى ..

وهذا يبدو طبيعيا لان الدكتور « م » هو الحجة الذى
نحتكم الى رأيه عند كل شك ..

« والدكتور « م » ليس كالمهذب به ، فهو شاحب وبلا
حية ، ويظلم فى مشيته »

وتغير اللون من صفات الدكتور « م » .. ولكنه ملتج
ولا يظلم فى مشيته ، ويذكرنى هذا بأن أخى الأكبر الذى
يعيش حاليا خارج القطر بلا حية ، وقد سمعت قبل
الحلم ، بيضعة أيام ، أنه أصيب بالتهاب فى فخذة الأيسر
جعلته يظلم ، ولا أعرف لماذا أدمج الحلم الدكتور « م »
وأخى ، ولعل السبب هو إجماع الأكبر لكليهما بحكم
المكانة فى بيتنا العائلية ..

« الدكتور أوتو يظهر بجانب « ارما » .. ويفحصها

الدكتور ليوبولد ويقرر وجود منطقة صماء في الجانب الأيسر «

والصديقان ليوبولد وأوتو قريبان .. ولكنهما دائما على طرفي نقيض ، وما أكثر ما يختلفان في التشخيص ، وينافس كل منهما الآخر في تخصصه ، وفي إحدى الحالات أثار ليوبولد إعجابي بدقته حين كشف عن منطقة صماء فعلا في تلك الحالة ..

« رشح على الجلد في الناحية اليسرى » ..

هذا الجزء من الحلم يشير الى ما أمانيه أنا فعلا من الأم الرومانيزم في الكتف اليسرى ، وقد نفسني حين سهرت تلك الليلة لكتابة التقرير ..

«الدكتور (م) يقرر أنها عوى .. ولكنه يستهين بالمسألة ويقرر أن الدوسنطاريا سيقضى عليها ويتسلاشى التسمم » ..

وهذا كلام يبدو سخيفا .. فأعراض الدفتريا لا يمكن أن تكون لها علاقة بالدوسنطاريا أو التسمم ، ولكنني لاحظت أن المراد بهذا الجزء دفع اللوم عنى بصورة مبالغ فيها ، لأن حالات الدوسنطاريا أو التسمم حالات عضوية ليس من اختصاصي علاجها .. فلا يمكن أن الأم اذا كانت « أرما » تشكو منها ، ولكن لماذا يسند الحلم هذا التشخيص السخيف لصديق هو طبيب فاضل ؟ لعل السبب أن الدكتور « م » لا يوافق على اقتراحاتي في العلاج ، فهو اذن يقف في صف « أرما » ، فجاء الحلم وانتقم لي من الاثنين .. من « أرما » باللام التي تعانيها في الحلم ، ومن الدكتور « م » بأن أسند اليه تشخيصا كالهراء !

وما جاء بعد ذلك من أجزاء الحلم ، هو تعبير عن « م » موجه الى زميلين ، واتهام لهما بالاهمال الساحش ،

والغرض من هذا بداهة هو دفع الملام عن نفسى .. فاذا كان الخطأ خطأ الآخرين ، فأنا لا يمكن أن أكون مسئولاً عن سوء الحال !

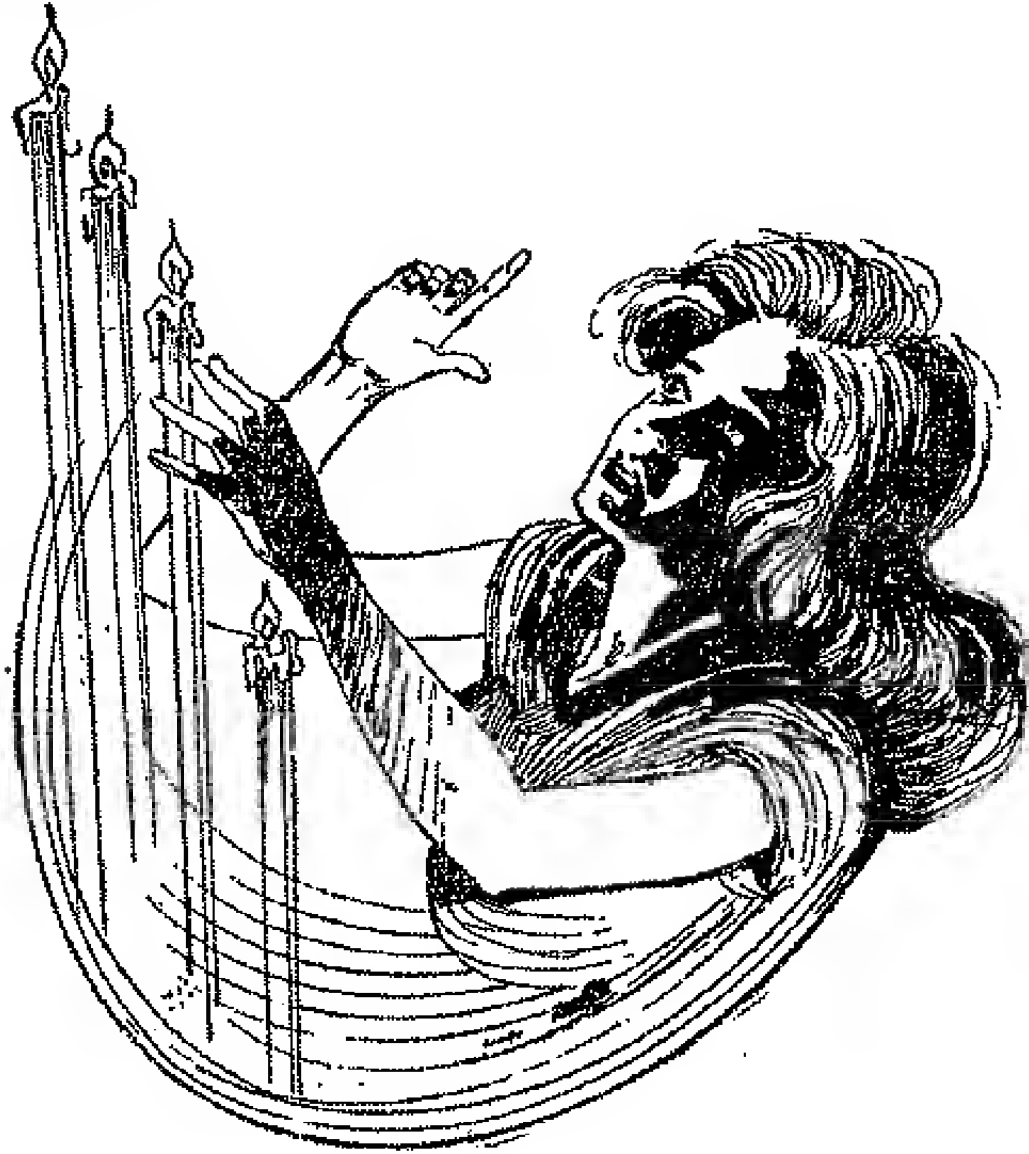
وهكذا نرى أن الحلم - فى ضوء هذا التفسير - قام بتحقيق مجموعة لا بأس بها من الرغبات التى خامرتنى فى اليوم السابق .. فجاء الحلم ليبرئنى من ذنب آلام « ارما » ، ويلقى الذنب على أوتو نفسه الذى شعرت من لهجته أنه يلومنى على التقصير فى علاجها .. واشتط فى انتقامى من أوتو ، فأجعله يبدو أقل كفاءة فى الحلم من منافسه ليوبولد ، وانتقم أيضاً من مريضتى الساخطة ، اذ أعطى شخصيتها ومكانها لسيدة أخرى أجسـد باحترامى .. ولا أعفى من الانتقام حتى الدكتور « م » الموقر

وفى اعتقادى أن هذا النموذج يبين خطوات المنهج الذى أنصح باتباعه فى تفسير الأحلام .. فعلى هذا النوال يتبين لنا أن الحلم - على تفككه وتضاربه - ليس خلواً من المعنى ، وأنه بعد تأويله تأويلاً صحيحاً تنضح له صورة متكاملة ومغزى متماسك ، وهذا المغزى يرمى دائماً الى تحقيق رغبة تخامر الشخص الذى رأى الحلم



الفصل الثاني

تحقيق الرغبة • لماذا اكتسبوه انهم ؟



تحقيق الرغبة

إذا كانت القضية التي وصلنا إليها هي أن الغرض من الحلم عموماً هو تحقيق الرغبة التي تساور الحالم ، فلماذا يتخذ الحلم تلك الصور المتناقضة ؟ .. وهل نستطيع أن نعرف أن كانت هذه الطريقة الملتوية هي المتبعة في سائر الأحلام ، أم هي طريقة خاصة بهذا الحلم بالذات ؟ !

إن هذا الحلم المعين قد دلنا تحليله على أن الغرض منه هو تحقيق الرغبة التي كانت تساورني ، ولكن ربما تكشف حلم آخر عن غرض ليس بتحقيق رغبة ، بل تجسيم مخاوف ، أو استرجاع ذكرى قديمة ..

فيجب أن نبحث الآن عن صفة تحقيق الرغبة ، وهل تنطبق على جميع الأحلام أم لا ؟ !

هناك أحلام كثيرة يكون واضحاً منها لأول وهلة أنها تحقق رغبة للحالم ، وهذا النوع من الأحلام متداول يراه كل منا ، وأذكر الآن - على سبيل المثال - أن من يأكل في وجبة العشاء أطعمة على درجة عالية من الملوحة ، يشعر أثناء النوم بالعطش ، ويحلم عندئذ بأنه يشرب كميات كبيرة من الماء الذي يبدو طعمه عذبا مرطباً للحلق ، ومع ذلك يستمر الظمأ ويمتنع الارتواء ، فتحدث اليقظة ويجد الشخص نفسه في حاجة شديدة إلى الشرب ..

وواضح أن الشرب في الحلم كان الغرض منه تحقيق رغبة شديدة للحالم ، لا يمكنه تنفيذها إلا إذا استيقظ ،

وهو لا يريد بقدر الامكان ان يستيقظ ، ويحاول الحلم بكل قوته ان يقوم بتحقيق الرغبة ، ولكن محاولته لا تنتج آثارها .. فلا يكون بد من اليقظة وهكذا نرى ان النفس البشرية تتخذ لها شعارا ، هو قانون « أقل مجهود » ومعنى هذا ان تحاول الطاقة النفسية الوصول الى هدفها بأسهل الوسائل وأقرب الطرق ..

وبدئى ان جميع الرغبات ليست سواء فى صعوبتها .. فالرغبة فى ارواء الظمأ لا يكفى الحلم لتحقيقها فعلا ، اما الرغبة فى الثأر من « أوتو » و « ارما » والدكتور « م » فيكفى الحلم لتحقيقها تمام الكفاية .. !
والاحظ ان الاحلام التى تحقق الرغبات الكامنة بسهولة كانت تتراعى فى منامى بكثرة فى فترة الشباب ، لاني فى ذلك الحين كنت أسهر فى البحث والدرس الى موهن من الليل ، وكان على ان استيقظ مبكرا لاذهب الى المستشفى ، وكان هذا بطبيعة الحال أمرا شاقا ، ولذا كنت أحلم فى معظم الليالى انى قمت من نومي ، ووقفت امام المغسل ، ورحت أرجل شعري بعد غسل وجهى .. فكان هذا الحلم يحقق رغبة اليقظة صوريا ، ويتيح لى فترة اضافية من النوم اللذيذ .. !

ويحضرني بهذه المناسبة حلم كان يتراعى لاحد زملائي الشبان ، وكان يقيم فى حجرة مفروشة قرب المستشفى ويكلف ربة البيت بإيقاظه فى ساعة معينة من الصباح الباكر ، ويشدد عليها فى ذلك لعلمه بثقل نومه .. وذات مرة كانت رغبته فى النوم شديدة .. فلما نادته السيدة :

— قم كى تذهب الى المستشفى ..
لم يستيقظ بل رأى نفسه فى الحلم راقدا فى فراش

بالمستشفى ، وقد علقت على الفراش لوحة تحمل اسمه
وتشخيص حالته المرضية .. فقال لنفسه وهو يحلم :
— لا ضرورة للذهاب الى المستشفى اليوم ما دمت
فيه فعلا !

واستأنف النوم ، لانه اقر اقرارا صريحا بفرضه من
هذا الحلم ، وهو ايجاد ذريعة لعدم الاستيقاظ في تلك
الساعة ..

واليكم حلما آخر .. فقد امر الطبيب مريضة عقب
اجراء عملية جراحية في الفك ان تضع كيس الثلج على
خدها ليلا ونهارا .. ولكنها ما ان تنام حتى تلقى به
بعيدا وهي نائمة ، وعللت ذلك بأنها حطمت بأنها في دار
الايوبرا ، فقالت لنفسها « ما دمت في دار الاوبرا فانا
بخير ولا حاجة بى الى كيس الثلج » .. وألقته بعيدا !
وواضح ان الفرض من هذا الحلم هو تحقيق أكثر من
رغبة للمريضة .. فهي أولا شفيت ، وثانيا ذهبت الى
الايوبرا وكانت محرومة من الخروج منسدة مدة طويلة ،
وثالثا وجدت مبررا للتخلص من كيس الثلج

واسوق قصة حلم آخر :
كانت إحدى السيدات تلازم ابنها المريض أسابيع
متوالية ، وهو طريح الفراش بحمى معدية .. فلما زالت
مرحلة الخطر رأت في منامها صالونا أديبا ومعهما فيه
مشاهير الكتاب الذين تحبهم ، فتبسطوا معها في
الحديث وسامروها ورفهوا عنها ، وكانت أشكالهم في الحلم
تمثل صورهم الشمسية ، فيما عدا « بريفو » الذى
لم تكن السيدة تعرف صورته .. فظهر لها في الحلم وله

وجه البخار الذى جاء فى اليوم السابق لتطهر حجرة
ابنها المريض ..
ومن السهل أن نعرف الرغبة التى يعبر هذا الحلم عن
تحقيقها ، وهى التخلص من هذا الحبس والسهر
والتمريض المضنى الى أنواع أخرى من المتع الروحية
والدهنية ..



أما بالنسبة للأطفال ، فإن أحلامهم لا بد أن تكون ذات
صور أبسط من أحلامنا .. لأن قواهم النفسية لم تصل
بعد الى درجة التعقد والالتواء والتشابك التى لدى
البالغين

وأحلام الأطفال هى فى الغالب تحقيق صريح وواضح
للرغبات ، ولذلك فهى ليست مشكلة علمية من ناحية
التأويل والتفسير .. ولكن قيمها الكبرى فى كونها
دليلا على أن جميع الأحلام فى جميع الأعمار تستهدف
تحقيق رغبة الحالم ..

ولذا أورد هنا أمثلة ونماذج من أحلام الأطفال ،
سجلتها فور سماعها من أطفالى .. لأنهم أقرب النماذج
التي تحت يدي

وأبدأ بحلم ابنتى وعمرها يومئذ أكثر قليلا من ثماني
سنوات ، أخذناها الى رحلة فى الجبال فى ناحية
« هالشتاد » وصحبنا معنا أحد أبناء جيرانا وعمره اثنتا
عشرة عاما ، وهو فتى لطيف وسليم يبدو أن آنستنا
الصغيرة شغفت به ، وبعد يوم استيقظت من نومها
وقالت لى :

— رأيت فى الحلم أن « اميل » صار من أفراد الاسرة
.. يدعوك بابا ، ويدعو والدتى ماما .. وينام مع اخوتى
الفتيان فى حجرة واحدة .. ودخلت ماما الحجرة ووضعت

تحت وسائدنا قطعا كبيرا من الشكولاتة ملفوفة في ورق
أزرق وأخضر

وكانت جميع أجزاء هذا الحلم واضحة لي ما عدا
حكاية الشكولاتة ، فأسعفتني زوجتي بأصل القصة ..
ففي اليوم السابق عندما صحبت الأم الاطفال جميعا الى
المحطة ، رغبوا في الوقوف أمام آلة يضع فيها المرء النقود
فتقدم له قطعا من الشكولاتة ملفوفة في ورق فضي متعدد
الالوان .. ولكن زوجتي لم تجد في الوقت متسعا فلم
توافق ..

وأما أن ينادينا « أميل » ابن الجيران « بابا » و « ماما »
فمصدر هذا أن « أميل » تكلم عنا في اليوم السابق بهذه
الصفة فعلا على سبيل التأدب .. فانتهزت ابنتي هذا
التعبير لتحلم أن « أميل » صار من أفراد الاسرة فعلا
بصفة دائمة ، وهي الرغبة التي كانت تخامرها .. ولما
كانت صغيرة ولا تعرف شكلا للارتباط بمن تحبهم بحيث
تجعلهم من أفراد الاسرة على الدوام سوى علاقة الاخوة
.. فقد تصورته أخا لها ..



وانتقل الى حلم آخر لابنتي الصغرى ، وكانت سنها
ثلاث سنوات تقريبا .. وكنا قد أخذناها في نزهة لعبور
البحيرة في قارب ، وأعجبتها النزهة حتى انها استقصرت
زمنها ، ورفضت أن تغادر الزورق عندما ألقى مراسيه
وملأت الدنيا صراخا .. وظلت تصرخ حتى وصلنا الى
البيت ، وهناك نامت من شدة الإعياء ، ولما استيقظت
قالت متلهلة :

— ركب الزورق وعبرت الى الشاطئ الآخر جملة
مرات ..

وواضح أن هذا الحلم تحقيق مباشر لرغبتها ..

واسوق حلما ثالثا لابنى البكر ، اذ كان عمره ثمانى
سنوات ، فقد رأى نفسه يركب العربية الحريسة مع
« اخيل » البطل اليونانى .. وكان فى اليوم السابق
يقرا بشغف كتابا عن الاساطير اليونانية



وليس لنا من سبيل الى معرفة شىء عن احلام
الحيوانات ، ولكن يظهر ان هناك اعتقادا شائعا بانها تحلم
.. فالمثل الشعبى يقول :

— حلم الاوزة بعكبال من اللرة ..

وهذا المثل تطبيق لنظريتى فى ان موضوع الاحلام
دائما هو تحقيق رغبة الحالم .. ايا كان مستوى هذا
الحالم



لماذا تتشوه الاحلام ؟

وبواجهنا الآن سؤال هو : ان من الاحلام ما هو مؤلم اشد الالم ومخيف مزعج .. فكيف يمكن ان ينطوى هذا اللون من الاحلام على تحقيق لرغبة الحالم ؟ واذا كان الغرض منها أساسا هو تحقيق رغبة الحالم ، فلماذا لم يسلك الحلم السبيل المباشر وآثر الالتواء والتشويه ؟ ! وهذا بطبيعة الحال يجرنا الى سؤال محدد هو : لماذا تتشوه صور احلامنا في كثير من الاحيان ؟ ..

وأرى أن امهد للجواب عن هذا السؤال بعرض حلم آخر من احلامي الشخصية ، قد اضطر فيه للكشف عن بعض تفاصيل حياتي الخاصة .. ولكن عزائي أن هذا التصريح قد ينير امامنا المشكلة التي بين أيدينا تمام الانارة ..

في عام ١٨٩٧ بلغنى أن اثنين من كبار اساتذة الجامعة زكياني لشغل وظيفة استاذ استثنائي .. فوقع منى هذا الخبر المفاجيء موقع السرور ، خصوصا وأن هذين الاستاذين الجليلين لم تكن تربطني بهما صلات شخصية فلا محل للظن أنهما حاياني ، بيد أني نهيت نفسي عن الاعتماد كثيرا على تلك التزكية لان ترقية الاساتذة كانت خاضعة مباشرة لوزير المعارف ، وكثيرا ما تجاهل الوزير مثل هذه التوصيات ، وكم من زميل اقدم منى ظسلس سنوات يجرى وراء هذا الامل دون طائل ، وليس هناك ما يدعوني للتفاؤل بصفة خاصة .. فرتبت نفسي على

الفشل في هذا المسمى ، ولم أجد في ذلك كبير عناء لاني قانع بما عندي ، ونجاحي في مهنتي يغنيني عن التماس هذا اللقب ..

وزارني ذات يوم أحد الزملاء الذين أشرت الى طول انتظارهم عبثا لتلك الترقية ، ولكنه كان طموحا ، فلم يكف عن طرق أبواب كبار رجال الوزارة ملحقا في الرجاء ، وروى لي كيف انتحى بأحد كبار الموظفين في ذلك اليوم جانبا ، وطلب منه أن يصارحه بسبب الماطلة في ترقيته ، وهل يرجع ذلك الى ديانتة اليهودية وما يلقاه اليهود من اضطهاد .. فأفهمه الموظف الكبير بلباقة أن تيسر الرأي العام لا يسمح للوزير في الوقت الحاضر بترقية اليهود .. وقد أزعجني هذا الحلم طيعا لانني يهودي مثل هذا الزميل ، وان كنت قد وطلت النفس من قبسل على الاستسلام للقبين الذي لا مفر منه ..

وفي الليل رأيت الحلم الآتي :

الزميل « ر » شكله شكل عمي وأشعر نحوه في الحلم بانعطاف شديد .. وأجد وجهه يصاب أمامي بتغير ، فيزداد طوله وتنبت له لحية صفراء .. !

ولما استيقظت من نومي جعلت أضحك من سخافة الحلم ، ولكن الحلم جعل يراود ذهني فقررت أن أحلله .. وأول عناصر الحلم أن « ر » له شكل عمي يوسف .. وهذا العم تورط منذ ثلاثين سنة في عمل تجاري يحرمه القانون ، وضبط وأُتزل به العقاب ، وكان أبي لا يذكر هذا العم الا ويهز رأسه قائلا :

— يوسف ليس شريرا ولكنه أحمق .. !

فمعنى أن زميلى « ر » هو عمي يوسف في الحلم ، مرادف للقول بأن « ر » أحمق ، ويؤيد هذا الرأي السمعج أن « ر » بدأ في الحلم بلحية صفراء مثل لحية عمي في حين

أن حية « ر » كانت سوداء ، فلا محيص إذن من القول بأن مراد الحلم من هذه الصورة هو رمي زميلى « ر » بالسفاهة والحمق ، وهما صفتان تقتربان بالعم يوسف في ذهني ..

ولا أجد مبررا لهذا الوصف سوى رغبة الحلم في أن يعزيتى أو يشجعنى .. كأنه يريد أن يقول أن تخلف « ر » عن الترقية يرجع الى سبب غير التعصب الدينى ، انه سفاهة « ر » المزعومة .. وهذا من شأنه أن يقوى روحى المعنوية لانه سينفى أن تكون ديانتى سببا فى اضطهادى ..

ولكن لماذا شعرت فى الحلم نحو « ر » بانعطاف شديد حينما كنت أشعر انه عمى يوسف ؟ .. هل كان هذا الشعور موجهها نحو عمى يوسف أم نحو زميلى « ر » ؟ أما عن يوسف فلم أشعر نحوه فى أى يوم من أيام حياتى بانعطاف ، وأما زميلى « ر » فكنت أقدره ، ولكنى لم أشعر نحوه بهذه الدرجة من العطف .. فلماذا عمدا الحلم الى المبالغة فى هذه الناحية ؟ .. فكأنما هذا الشعور الزائد حيلة من حيل الحلم يراد بها ستر حقيقة معينة عن ادراكى ، فرمى « ر » بالحماسة أمر كريب وظالم .. وكى يدارى الحلم هذا الظلم موهه بالعطف والانعطاف .. وكأنه تكفير موجه الى « ر » عما رميته به من مذمة بغير وجه حق ، انه أشبه بالكفارة أو « التقية » ، وهو نوع من السلوك نمارسه فى حال اليقظة فى كثير من الاحيان ، فالكتاب السياسى حين يخوض فى موضوعات يعلم أنها تنضب الحكومة يعلم أن ذوى السلطان يملكون مصادرة كتاباته أو معاقبته شخصيا .. فيعمد الكاتب اتقاء للرقابة وشروها الى تمويه كتاباته وإخفاء آرائه بمباراة ملتوية تظهر المدح وتبطن الدم والقبح ، ويخضع على

هجماته المسمومة سمات البراءة والمجاملات المعسولة ،
وكلما اشتدت وطأة الرقابة زادت الحاجة الى التخفى
والاتقاء ، وصار القارئ مطالباً بالفطنة كي يستشف
ما بين السطور . . !

ونخرج من هذا بأن لدينا في الحلم قطبان . . أولهما
الرغبة التي يريد النائم أن يحققها ، والقطب الثانى هو
الرقابة التى تحول دون تحقيق الرغبة اذا لم تحز
رضاهها . . والرغبة تنبع من اللاشعور ، فهى مثل حرس
الحدود الذى يمنع غير المرغوب فيهم من الدخول ، وعلى
غير المرغوب فيهم فى هذه الحالة أن يتنكروا فى اشكال
وأزياء غريبة كي يفلتوا من الرقابة . . وهذا هو السبب
فى الالتواء والتنكر أو التشويه الذى يصيب بعض صور
الحلم فيسبب لنا ذلك عجزاً عن الفهم أو آلاماً أو خوفاً . .



وكى نبرهن على أن جميع الاحلام - حتى المؤلمة -
هدفها تحقيق الرغبة ، سأروى الآن أحلاماً نموذجية من
هذا النوع ، وبعض هذه الاحلام مما رواه مرضاى :
قالت لى احدهن . . وكانت مشهورة بذكائها :

- اتى لأمعجب من اصرارك على أن لا هدف للاحلام الا
تحقيق الرغبات ، فما رأيك فى أننى حلمت خلماً ليس فيه
شئ الا رغبات لا سبيل الى تحقيقها . . فكيف يتفق
هذا مع وجهة نظرك ؟
- ما هو هذا الحلم ؟

- حلمت انى انتويت اقامة مأدبة عشاء . . ولكن
ما عندى من السمك المدخن كان اقل مما يجب ، ففكرت
فى الخروج الى السوق لأحضر شيئاً يصلح للأكل ،
تذكرت أن اليوم الاحد وأن السوق مغلقة . . فلبأت الى

التليفون لاستنجد ببعض من أعرف فلم أجد في التليفون
حزارة ، فاضطرت للتنازل عن رغبتى في إقامة تلك
المأدبة

وأخذت أسألها عن ذكرياتها في اليوم السابق للحلم ،
فعرفت منها أن زوجها - وهو من تجار اللحوم بالجملة -
أخبرها يومئذ بقلقه من ازدياد وزنه ، وأنه قرر أن
يستيقظ في الصباح الباكر للقيام بالتمارين الرياضية ،
وأنه ينوى أن يتبع نظاما صارما في الطعام ، وأنه سوف
لا يقبل أية دعوة للعشاء

ولا أجد في هذا كله ما يوضح الحلم .. فأظل الاحتمال
بالأسئلة الى أن اتغلب على مقاومتها ، فتعترف لى أنها
في ذلك اليوم أيضا زارت صديقة تشعر نحوها بالغيرة
لأنها جميلة رغم نحافتها وزوجها يعجب بها ويثنى عليها ،
وقد حدثتها هذه السيدة النحيفة عن رغبتها في زيادة
وزنها ، ثم سألت مريضتى : « وبهذه المناسبة متى تقيمين
لنا إحدى ولائمك الطيبة ذات المأكول الدسمة ؟ »

فلما سمعت هذه المعلومات ، تكشف لى المفزى
الحقيقى للحلم ، وصار فى استطاعتى أن أقول لمريضتى :
- الآن أستطيع أن أحدد لك تلك الرغبة التى حققها
حلمك ! فكانك اغتظت من رغبة غريمتك فى أكل طعامك
كى يزداد وزنها وتمتلىء أعطافها فيزداد إعجاب زوجها
بها .. ونبتت لديك أمنية فحواها الا تقيمي مأدبة لآى
إنسان اكراها لخاظرها ، وخصوصا أن زوجك ذكرك فى
اليوم نفسه أن ولائم العشاء هى التى تساعد على السمنة
.. والآن بقى شىء ياسيدتى ..

- ما هو ؟

- أريد أن أعرف منك ما الذى يرتبط فى ذهنك
بالسماك المدخن ؟

— أوه ! انه الصنف الذي تفضله تلك السيدة !
وها نحن اولاء نتبين ان المريضة قد عمدت في الحلم الى
حيلة الابدال فوضعت نفسها في محل تلك السيدة التي
تغار منها لان تلك السيدة تحتل عند زوجها مكانة تطمح
هى فيها .. فهى تتمنى لو حلت محل صديقتها في
اعجاب زوجها ، ثم جعلت صديقتها المتمثلة في شكلها
لا تظفر بتحقيق أى رغبة من رغباتها ..



وساسوق الآن حلما آخر لاحدى مريضاتى أيضا ،
روته لى كى تدحض نظرية أن الحلم تحقيق رغبة ، وهذه
المريضة شابة قالت لى :

— ان لاختى كما تعلم ولدا واحدا اسمه كارل ..
اما أخوه البكر أوتو الذى كان الاثر عندي فمات منذ
مدة .. وأنا لا أتذكر انى أحب كارل ، ولكن ذلك الحب
لا يعد شعرة بالنسبة لحيي لاختيه الراحل الذى ربيته
وكأنه ابنى ، والليلة الماضية رايت فى المنام أن كارل أيضا
قد مات ، وأنه مسجى فى نعشه ، ومن حوله الشموع ..
وكان المنظر كله مطابقا من جميع الوجوه لليلة وفاة أوتو
التي تعلم كم كانت قاسية على نفسى ، فقل لى ما معنى
هذا الحلم ؟ .. هل معناه انى أتمنى أن تفقد اختى طفلا
الوحيد ؟ أم معناه انى أتمنى لو كان الميت هو كارل لا
أوتو ؟

وقد ساعدنى على معرفة التفسير الصحيح ، اننى كنت
على دراية تامة بتاريخ هذه الشابة النفسى والعائلى ..
كنت أعلم أن هذه الشابة فقدت أبويها فى طفولتها ،
فتربت يتيمة فى كف اختها الكبرى .. وفى بيت تلك

الاخت تعرفت برجل من اصدقاء الاسرة تعلق به قلبها ،
وأوشك الزواج أن يتم لولا أن اختها الكبرى أحبطت
المشروع ، وحولت الفتاة كل مواطنها نحو ابن شقيقتها
أوتو ، ثم مات أوتو فجأة ، فكاد الحزن أن يهدمها ، وغادرت
بيت اختها لتعيش بمفردها وتحاول عبثا التخلص من
ذكرى ذلك الحب الفاشل .. وان كانت عزلة نفسها
لا تسمح لها بالسعى الى تجديد العلاقة ، قصار كل لحظة
من لقياء ، أن تذهب لمشاهدة المحاضرات العامة التي
يلقيها ذلك الحبيب لانه كان من رجال الفن والادب ، وكان
آخر حفل من هذا القبيل في اليوم السابق على الحلم ،
ولكن محاضراته كانت قليلة ومتناثرة ..
وسألتها :

— هل حضر الاستاذ الى بيت اختك يوم وفاة أوتو ؟
— طبعاً .. حضر بعد انقطاع طويل ، ووقف بجوارى
امام تابوت أوتو الصغير الذي تحيط به الشموع ..
— ان هذا هو المضمون الاساسى لحلمك الليلة .. فلو
ان كارل مات لصار من المحتم أن يحضر الاستاذ كما حضر
يوم وفاة أوتو للعزاء ، ولايحت لك الفرصة لرؤياه عن
قرب ..

وواضح ان الشابة ذات كبرياء .. وانها لا تسمح
لرغبتها في الاجتماع بحبيبها أن تظهر .. فتحتال على
فرصة لقائه بذلك الافتراض الذى يحز في القلب حراً ..
وتلاحظ أن الصور الاليمة التي تلجأ اليها هذه
الاحلام تزداد كلما اشتدت ممانعة الرقابة في ظهور الرغبة
المنشودة ، وما أشبه ذلك بأعمال التنفير والتقييح التي
تستخدم في الماكياج والتكر استخداماً مفرطاً كلما كان

الشيء المراد اخفاؤه ممنوعا باتما ويترتب على ضبطه عقاب صارم ..

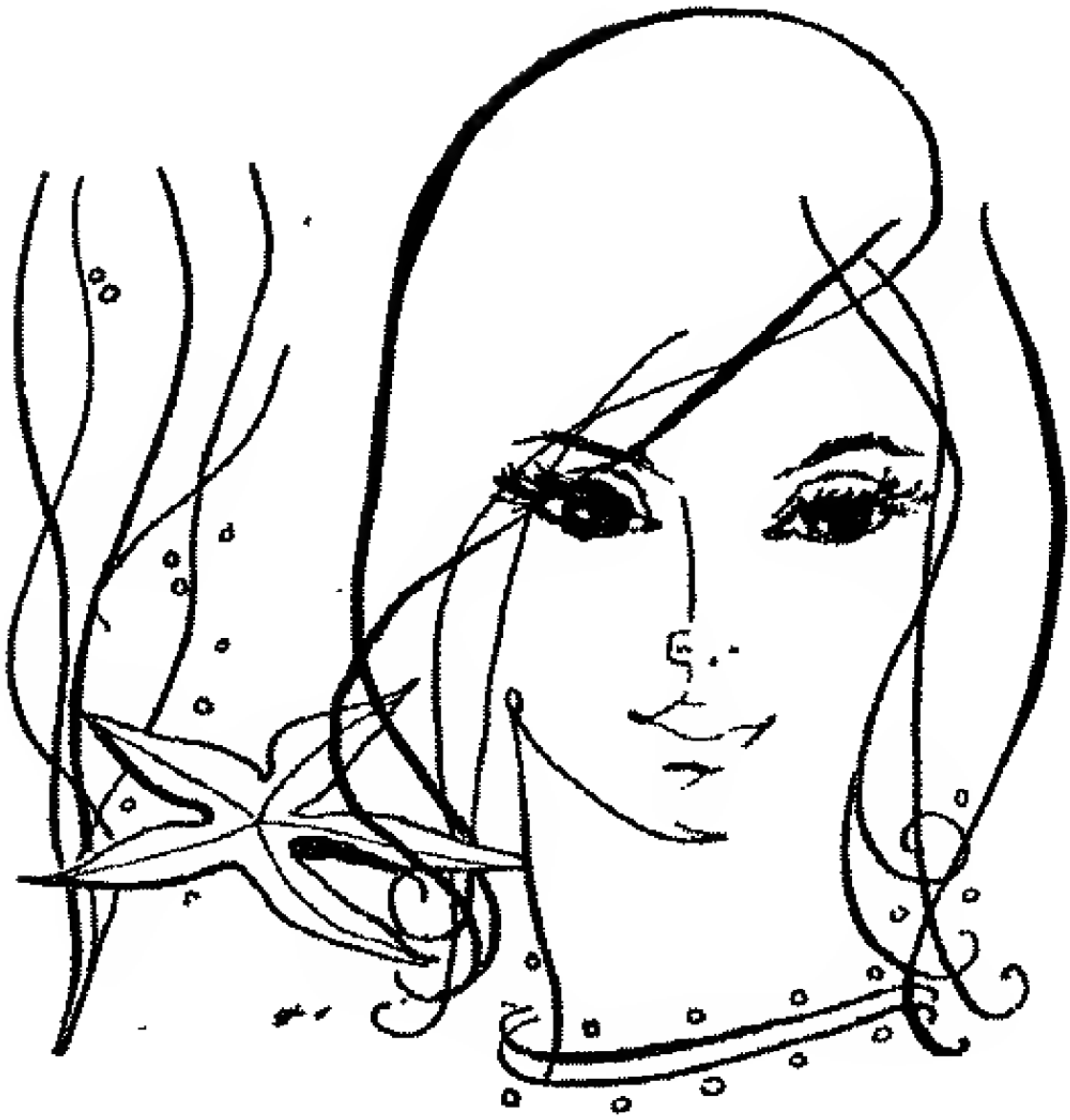
فتشويه الخلم وتبشيعه وشحنه بالفواجع والآلام ،
انما هو اثر من آثار الرقابة المشددة مثلما تخفى الاسلحة
المهربة في تجويفات داخل الكتب ، أو تخفى المخدرات
داخل نعش ميت !

وعلى هذا نستطيع أن نقول ان أى حلم انما هو فى
الغالب تحقيق لما يكون مقنعا وملتويا لرغبة تكون فى
معظم الاحوال مكبوتة أو مكبوحة !



الفصل الثالث

عناصر الخاتم • أهدام نموذجية



عناصر الحلم

ان اول ما أسجله ، بناء على تجربتي الشخصية ، هو ان الحلم له صلة دائما بأحداث اليوم السابق على الحلم ، وقد ثبتت لدى صحة هذه النظرية من أحلامي كلها ، ومن كل الأحلام التي فسرتها لأصدقائي ومرضى ، ولذا فان اول ما أبدا به عند الشروع في تفسير أى حلم هو ان انقب في أحداث اليوم السابق .. وقد دلت التجربة على أن هذا البحث منتج الى حد كبير ..

وسأذكر الآن بضعة من أحلامي الخاصة تثبت الصلة الوثيقة بين صور الحلم أو عناصره وبين أحداث النهار السابق مباشرة ..

وأبدا بالحلم التالي :

أجد نفسي أقصد بيتا فلا أستطيع أن أدخله الا بعد صعوبات كثيرة .. وأثناء هذه المحاولات تقف سيدة في انتظاري ..

والحادث الذي يرتبط بهذا الحلم هو ما حدثتني به إحدى السيدات في تلك الامة بأنها اضطرت أن تنتظر طويلا في بعض المتاجر الى أن تسلمت البضائع التي اشترتها ..

وحلمت في مرة أخرى أتى أعددت بحثا عن نوع من النبات ..

وكان الحادث المرتبط بهذا أتى رأيت في اليوم السابق

في واجهة مكتبة مررت بها في الطريق بحثا لفت نظري
عن نبات معين ..

ورأيت حتما ثالثا اني ذهبت الى احدى المكتبات لادفع
قيمة الاشتراك السنوي لمجلة علمية وقدره عشرون
فلورينا ..

وواضح من هذه الامثلة ان للاحداث التي وقعت في
اليوم السابق مباشرة على الحلم صلة ما بما في الحلم ،
ولكن ربما سأل سائل : هل من الضروري ان تكون
للحلم صلة باحداث اليوم السابق ، أم يكفي ان يكون
الحادث في يوم قريب بوجه عام ؟

وانا لا ارى فرقا كبيرا بين الافتراضين .. ولكني
افضل ان ابدا باحداث اليوم السابق لافتش فيها عن
المصدر المباشر للحلم ..

وقد يكون الحلم بريئا جدا في مظهره ، ولكن هذه
البراءة قد لا تكون الا قناعا تنكريا للافلات من الرقابة
المفروضة على الشعور ، ولذا احب ان اعرض هنا نماذج
لتلك الاحلام البريئة الخادعة في براءتها ..



وابدا بحلم لسيدة مثقفة من النوع الذي لا يظهر ما في
سريره ، وتمسك بالبراءة في مظهرها .. قالت :
— رأيت في المنام اني ذهبت الى السوق ، ولكني
وصلت متأخرة فلم أستطع الحصول على شيء .. لا من
القصاص ولا من بائع الفاكهة ..

ويبدو هذا الحلم تام البراءة لاول وهلة .. ولكني لم
اطمئن الى هذه البراءة ، فرحت استوضحها عما اتبعته
عادة عندما قررت الذهاب الى السوق .. فقالت انها
حينما تمضي الى السوق يصحبها الطاهي وهو يحمل

السلة ، وفي الحلم سألت القصاب عن صنف معين ، فقال لها انه من المستحيل الحصول عليه الان ، وعرض عليها صنفا آخر وهو يزكيه .. ولسكنها تركته وذهبت الى بائعة الخضر والفاكهة فاذا بها تعرض عليها نوعا لاتعرفه من الخضر أسود اللون مربوط في حزم .. فقالت الحالة :

... هذا شيء لا أعرفه فلا أستطيع أن أخذه ..
وتبين من المناقشة أن هذه السيدة كانت قد ذهبت فعلا الى السوق في اليوم السابق ، فوصلت متأخرة ورجعت من غير أن تشتري شيئا لان محل القصاب كان مغلقا .. !

وكان من الممكن أن نعتبر الحلم اشارة الى ما حدث بلا تعديل ، لولا أن هذه الأحلام البريئة تحتاج الى كثير من « الخبث » في تفسيرها .. ففي اللغة الألمانية تعبير مبتدل يستعمل فيه محل القصاب المفتوح كناية عن اغفال الرجل أقفال فتحة بنطلونه من الامام .. ومثل هذه الكناية ترجع كفتها اذا ربطنا بينها وبين نوع الخضر الذي عرضته عليها البائعة ، فهو شيء أسود اللون طويل مربوط في حزم .. وهو في مجموعه اشارة الى شيء جنسي ، فمحل القصاب في الحلم مفتوح ، وهو يغريها بقبول شيء لا تريده فتتنصرف لتعرض عليها بائعة الخضر شيئا يظهر في الحلم اوضح دلالة على الفعل الجنسي ، ولسكنها تنكر معرفته ، وتعرض عنه !

وليس بعنينا الآن بقية مدلول الحلم ، وانما حسبنا في هذا المقام أن هذا الحلم البريء كان له مضمون ليس بريئا كل البراءة !



ورأت هذه السيدة البريئة المظهر شيئا آخر .. رأت

انها تضع في الشمعدان شمعة كبيرة ، ولكن الشمعة
تأين في يدها ولا تقف كما تريد منها فتقول لها زميلاتنا
انها خائبة .. ولكن المعلمة تقول انها غير مسئولة ..
وقد حدث في اليوم السابق أن الحاملة حاولت وضع
شمعة كبيرة في الشمعدان ، ولكن لم يحدث أنها لانت
في يدها .. بل كانت على ما يرام ، وقد أخذ الخلم
الشمعة واستخدمها في « أغراضه » الخاصة ، ومن
المعروف أن الشمعة الغليظة رمز جنسى ، لأن لينها وعدم
وقوفها أثناء الاشتعال هو كناية واضحة عن العجز
الجنسى للرجل .. وإذا كان العجز منسوبا الى الرجل
فالسيدة غير مسئولة عن تلك الخيبة ..

وواضح من هسلدين الحلمين البريثين أن الجنس هو
السبب في اشتداد الرقابة الشعورية ضد تحقيق الرغبة
الجنسية — كما هو مألوف — فأدى ذلك الى استخدام
رموز وصور ملتوية لاختفاء معالم تلك الرغبة ..



وقد لاحظت أيضا أن الحلم كما يستخدم أحداث اليوم
السابق قد يشير أيضا الى أحداث موهلة في القدم وقعت
في فترة الطفولة الأولى ، بحيث يخيل للانسان أن ذاكرته
قد أتت عليها ولم يعد في المستطاع استعادتها ..

ويحضرني بهذه المناسبة حلم طريف رواه لى بعض
المواظبين على حضور محاضراتى ، وكان يؤكد لى أن
احلامه كلها صريحة ليس فيها التواء أو تشويه ..

روى لى هذا الشخص أنه رأى في المنام المدرس الذى
كان يشرف على تعليمه في البيت — وهو طفل — نائما في
سرير واحد مع مربيته الشابة التى لم تترك البيت الا
عندما صار الحالم في سن الحادية عشرة ، وقد حدثت

وقائع هذا الحلم في نفس اطار البيت القديم الذى أمضى به صدر طفولته

ولما روى ذلك الحلم لشقيقه الاكبر ضحك ، وقال له ان حلمه قد وقع فعلا ، واكد له انه عندما كان - اى الاخ الاكبر - فى السادسة من عمره ، كان المدرس وعشيقتة المريية يسقيانه الجعة اذا ما سهر الوالدان خارج البيت فيضيب عن وعيه ، واما الاخ الاصغر - صاحب الحلم - فكان فى الثالثة من عمره ولا يخشى من فطنته ، فلا يبالى العاشقان ان يناما فى فراش المريية معا .. مع ان الطفل الصغير يحتل فراشا فى نفس الحجرة !

وهناك نوع من الاحلام يسمى الاحلام الراجعة .. وهو عبارة عن حلم يعاود الشخص - منذ فترة طفولته الى ان يكبر - فى الحين بعد الحين من غير تعديل تقريبا . وليس لدى محصول كبير من هذه الاحلام .. ولم يقع لى شخصا شىء منها ، ولكنى اذكر هنا حلما لطيب من اصحابى جاوز الثلاثين كان يرى بين الحين والحين منذ طفولته اسدا اصفر اللون يظهر فى أحلامه ، ولم يزل يظهر له الى الوقت الحاضر ، وكان هذا الاسد من الوضوح بحيث يستطيع وصفه وصفا دقيقا ، وظل يجهل مصدر هذا الحلم الى ان عثر بين متروكات طفولته على تمثال لاسد اصفر ، كان يلعب به وهو طفل ثم نسي أمره .. وأخبرته أمه ان هذا الاسد كان لعبته المفضلة ، مع انه كان قد نسي أمره تمام النسيان ..

وليس من الضروري ان تكون مشاهد الطفولة التى طمرها النسيان متمثلة فى احلام كاملة ، بل يكفى ان تعود تلك الذكريات الطفلية فى لمحة واحدة من لمحات الحلم دون ان تكون لبقية أجزاء الحلم صلة بتلك الذكريات

وسأذكر هنا حلم سيدة مسنة اندمجت فيه مجموعة من ذكريات الطفولة في صورة واحدة :

حلمت هذه السيدة العجوز أنها خرجت لشراء بعض لوازمها ، وكانت مسرعة في سيرها فوقعت على ركبتيها في الشارع ، وتجمع الناس من حولها وكان أكثرهم من سائقي العربات .. ولكن أحدا منهم لم يساعدها على النهوض ، وتحاول هي النهوض أكثر من مرة ولكن بلا طائل ، وأخيرا تنهض واقفة وتجد نفسها داخل عربة تقودها الى منزلها ، فيقذفها الواقفون من نافذة العربة المفتوحة بسلة خضر كبيرة ملانة بالحاجيات ..

وواضح أن المشي بسرعة والوقوع انما هو رجوع بهذه العجوز الى مرحلة طفولتها ، وعندما سالتها عرفت أن بين ذكريات طفولتها الاولى منظر شاب في السابعة عشرة من عمره يسقط في الطريق على اثر اصابته بنوبة صرع ، فأحضره الناس الى البيت في عربة .. ولم تكن رات هذا المنظر بعينها ولكنه روى لها ..

ومما لاشك فيه أن السقوط في الاحلام ذو معنى جنسي ، فحين تسقط المرأة فهي ساقطة بمعنى الائمة او العاهرة .. والشارع الذي سقطت فيه هو شارع جرابين ، وهو مكان تكثر فيه أولئك النسوة !

وإذا أضفنا الى ذلك أن هذه السيدة تزوجت في مقتبل عمرها رجلا أقل منها في المستوى الاجتماعي والمالي ، فاضطرت أن تذهب الى السوق بنفسها حاملة سلة الخضر كأنها من زمرة الخدم .. فمعنى وقوف الخوذية من حولها ينظرون اليها ولا يساعدونها أنهم يزدرونها .. ومعنى قذفها بالسلة هو تعييرها بأنها نزلت الى مستوى الخدم !

ولكن لماذا الخوذية بالذات ؟ .. ان ذلك له صلة

بذكرى بعيدة من ذكريات الطفولة ، حين طردت احدى
خادمات الاسرة بعد افتضاحها بعلاقتها بجوذى ، ولعل
هذا هو الارتباط فى الحلم بين الحوزية وبين السقوط !..



والآن اعرض حلما حلمته انا شخصا .. فقد نمت
وانا جائع مجهد ، فحلمت انى دخلت المطبخ التمس شيئا
أكله .. فاذا ثلاث نساء احداهن ربة البيت ، وكانت
تصنع فطيرا ، فطلبت منى ان أنتظر الى ان تفرغ من
صنعه .. فاستاء واغادر المطبخ وارتدى معطفا طويلا
جدا ، فأخلعه لهذا السبب وارتدى معطفا آخر طويل
الذيل عليه وشى تركى ، ويأتى رجل لا أعرفه مستطيلا
الوجه مدبب اللحية ليمنعنى من ارتداء هذا المعطف ،
قائلا انه يخصه .. فأعجب لذلك واريه الزخارف التركية
فيقتنع بذلك ، ثم تنمقد بيننا صداقة

ولما بدأت فى تحليل هذا الحلم ، ساقنى ذلك الى أول
قصة قرأتها وانا فى الثالثة عشرة ، وبطلها ينتهى الى
الجنون وهو يردد أسماء النسوة الثلاث اللواتى أثرن فى
حياته اكبر الاثر ، وكلمة « النسوة الثلاث » تذكرنى
بالهات القدر الثلاثة .. واحداهن هى الام ، والشعور
بالجوع هو الذى يربطنى بمصدر الاشباع عند الطفل وهو
الام ، واما أن المرأة التى رايتها فى المطبخ كانت تفرك
يديها كمن تصنع فطيرا ، فانها تذكرنى بأمى لا لانها كانت
تصنع الفطير بل لاننى سألتها وانا فى السادسة من عمري
كيف أعرف أن الله خلقنا من طين كما جاء فى التوراة ،
وكانت أمى شديدة التدين وسليمة علماء اتقياء من حملة
التلمود ، ففركت يديها بشدة فرايت فتائل سوداء تشبه
الطين .. فكان هذا برهانا كافيا لاقتناعى على أن البشر
من تراب والى تراب يعودون !

أحلام نموذجية

هناك أحلام تجرى على غرار واحد عند الجميع .. فلا يكاد يختلف فيها حاله عن حاله ، ولا يكاد يختلف فيها المعنى على حسب الحالين .. ولعل سائلا يسأل عن علة وحدة الصور واللغة والدلالة في هذه الأحلام ، في حين تختلف الصور والدلالة في الأحلام الأخرى .. والجواب أن هذه الأحلام التي تجرى على منوال واحد تستمد وحدتها وتشابها من صدورها عن علة واحدة لدى سائر الناس .. وهذا هو السبب في أننا نهتم اهتماما خاصا بهذا النوع من الأحلام ، ويرجى أن نخرج من دراسته بمزيد من الفهم عن الأحلام .. وسأبدأ الآن بتناول أنواع من هذه الأحلام النموذجية ذات معان محدودة ..

١ - أحلام الخزي بسبب العري

هناك أحلام يرى الحالم فيها نفسه عاريا كما ولدته أمه ، أو متجردا من جانب هام من ثيابه المفروض ألا يظهر أمام الناس بدونته ، ولكن ربما رأى الحالم نفسه على هذه الصورة ، ولم يشعر بالخزي على الإطلاق .. وفي هذه الحالة لا يهمننا أمر حلمه ، وإنما يهمننا فقط الحلم الذي يشعر فيه الحالم بالخزي لتجرده من كل ثيابه أو

بعضها بحيث يتمنى لو توارى عن العيون ، بأى شكل من الأشكال ، إلا أنه يتسمر في مكانه وكان قوة أكبر منه تمنعه من الحركة .. فمثل هذا الحلم هو الذى نسميه حلما نموذجيا .. قلباب قيمته هو الاحساس بالخزى ، ثم العجز عن علاج موقفه ، وشعوره بالابتئاس لذلك العجز !

والحقيقة انه من النادر أن يكون العرى فى مثل هذا الحلم عريا تاما .. بل يكفى جدا أن يكون عريا جزئيا ، انما المهم هو الشعور القوى بالخزى مع أن الجزء الناقص من الثياب قد لا يبرر اطلاقا كل هذا الخزى .. بل قد لا يكون هناك عرى على الإطلاق ، وانما هو مجرد اهمال فى طريقة الهندام .. فان كان الحالم من المسكرين يكفى أن يكون حزامه مفتوحا ، وأزراره غير لامعة ، أو أن يكون بنطلونه مدنيا .. ولكن لابد على كل حال أن يشعر الحالم بشحنة قوية من الخزى نتيجة لذلك النقص .. والغالب أن الذين يرى الحالم نفسه شديدا الخزى امامهم أشخاص غرباء ، ملامحهم غير معروفة وقصير واضحة .. وهم لا يبدوون أى اهتمام بنوع العرى الذى كان مصدر خزى الحالم ، وكأنهم لا يلاحظون وجوده اطلاقا فمن العلامات المميزة لذلك الحلم النمطى ، تقابل خزى الحالم لعرية أو شدوذ زيه وعدم اكتراث الناس .. فكان العرى أو شدوذ الملبس أنتج احساسا متناقضا لدى الحالم ولدى من يشاهدونه فى الحلم ، اذ كان المفروض أن يكون لخزى الحالم صدى من دهشة الناس أو تسؤلهم أو فضولهم أو استهجانهم ، وفى اعتقادى أن حب الإنسان لنفسه وحرصه على تحقيق رغباته هو الذى جعله يحور الحلم ليحل عدم الاكتراث بالجمود محل الامتناس أو الفضول .. أما شعور الحالم بالخزى ، فأرجح أن الذى

منع من اخفاء معالنه أو ابداله عامل أقوى من ذلك ، والمهم أن التناقض بين الخزى وعدم الاكتراث يتوفر لهذا النموذج من الاحلام

وهنا تناقض خليق لان يدلنا على أن تلك القسوى الخفية التى تبقى على شعور الخزى انما هى رغبة جنسية محرمة ، عليها رقابة شديدة جدا من الوعى تصر على أن تكبتها ..

ومن تجاربى فى تحليل مرضاى الذين عرضت لهم مثل هذه الاحلام ، أستطيع القول أن محتوى الحلم ينقل ذكريات ممعنة فى البعد من ذكريات الطفولة ..

وتعليل ذلك انه لم يكن هناك وقت يظهر فيه عراة تماما غير صدر طفولتنا .. ولم يكن هذا العرى مصدر خزى لنا ، ومن استطاع أن يلاحظ الاطفال الصغار حين تسنح لهم فرصة التعرى من ثيابهم سيراهم يتهللون فرحا لتلك الفرصة ، ويتراقصون مزهوين باستعراض ما كان مغطى من اجزاء أجسامهم ، والغالب أن تصيح الام موجهة اطفالها وداعية اياهم الى الاحتشام ، ومذكرة اياهم أن هذا عار لا يليق ..

وتصور السعادة فى العرى ، انما هو رجوع بالمرء الى تلك الفترة الاولى من الطفولة السعيدة .. بل أن تصور الفردوس المفقود للبشرية انما هو تصور لحالة الطفولة العارية ، بدليل أن الناس فى الفردوس كانوا عرايا تماما لا يستر أجسامهم شئ ولكنهم مع ذلك لا يشعرون بالخجل ، الى أن وقعت الواقعة المشهورة وأدركوا أنهم عرايا فأخذوا يقصفون من أوراق شجر الفردوس ليستروا عوراتهم لانهم احسوا بالخزى الشديد ... وأعقب ذلك حكم الطرد من الفردوس ..

ومنذ ذلك التاريخ والبشرية تمضى فى التربية الجنسية

والتربية الاجتماعية التي تحرم هذا المعرى غير المكثرت..
ولكن احلامنا تستطيع أن تتردد بنا الى ذلك الفردوس
المفقود ، وهذا ما يسمى بالاحلام الاستعراضية
والآن نريد أن نتكلم عن الاحلام الاستعراضية ..
هل يرى الحالم نفسه على صورته في أيام الطفولة وهو
عار ؟

كلا .. بل يرى نفسه في معمره وقت الحلم ، وقد لا يرى
نفسه عاريا تماما لان الرقابة الشديدة تمارس نشاطها ،
وتمنعه من الوصول الى تلك الدرجة من الاستباحة ..
ونلاحظ أيضا أن من يبدو امامهم ناقص الثياب خزيانا
اشخاص غرباء ليس له بمعرفتهم سابق عهد ..

وهنا موضع للعجب .. ان الاشخاص الذين كنا نهتم
بهم اهتماما جنسيا في طفولتنا لا يظهرون في احلامنا
الاستعراضية اطلاقا ، الا في حالة المصابين بالبارانويا
دون غيرهم .. بل المؤلف أن يختفى هؤلاء الاشخاص ،
ونرى في مكانهم مجموعة من الغرباء لا يكثرثون اطلاقا
للمنظر الاستعراضى الذى يقوم به الحالم ويخجل منه ،
وهذا النوع من الابدال في الاحلام مألوف .. وبفضله
يحل غرباء محل الشخص المشتبه الذى من أجله قام
الحالم باستعراضه العارى

وهذه الحيلة التى بها يضع الحالم مجموعة من الاشخاص
الغرباء مكان الشخص المشتبه ، معناها في لغة الحلم ورغبة
الحالم فى أن يجرى استعراضه لجسمه أمام أنظار المحبوب
خلصة وخفية عن أعين الغرباء .. فعدم اكتراث الغرباء
- وكانهم لا يرون - معناه أن الاستعراض العارى يتم
من غير أن يلاحظه الغرباء

ومجمل القول ان هناك رغبات تعودنا كبتها منذ عهد
الطفولة لانها ممنوعة أو محرمة .. ولكنها تخترق

اللاشعور ، وتظهر في أحلامنا مقنعة ، حتى تخدع الرقابة
الشعورية .. ومن أهم هذه الأحلام بلا شك أحلام العرى
الاستمرارية ..

٢ - عندما يموت الأحياء

وهناك نوع آخر من الأحلام النموذجية ، نرى فيها
شخصا من أحبائنا الأحياء وقد مات .. وربما كان هذا
الشخص والدأو والدة أو أخا أو ابنا أو زوجة
ومن الواجب أن نفرق بين نوعين من هذه الأحلام ،
هما الأحلام التي لا يهتز فيها وجدان الحالم لذلك الموت
حتى أنه يلوم نفسه أشد اللوم على جمود عواطفه حين
يستيقظ ويتذكر الحلم ، وهناك أيضا أحلام يشعر فيها
الحالم بفداحة الرزء ويسح فيها دمه مدرارا ، أما النوع
الأول الذي لا يهتز فيه وجدان الحالم للفجعة ، فليس
الحلم النموذجي الذي نسعى هنا وراءه .. وإنما هو
حلم يرمى إلى تحقيق رغبة أخرى خفية ، ويكفى أن أشير
هنا إلى حلم تلك الشابة التي رأت في منامها ابن أختها
الوحيد مسجى في تابوته ومن حوله الشموع .. ولم
تحزن لموته ، فالحقيقة أن الرغبة التي يسعى حلمها
لتحقيقها ليست وفاة ابن الأخت بل خلق فرصة لمقابلة
حبيبها ، وعلى هذا الأساس لم يكن هناك ما يدعو للحزن
إذا نظرنا إلى المحتوى الباطني للحلم !

ولكن الأحلام التي تقترن عند موت شخص عزيز
بحزن أو بكاء ، فمحتواها الحقيقي هو الرغبة في موت ذلك
الشخص !

وأنا أعلم أن الكثيرين يستنكرون هذا الكلام ..
ولذا سأجتهد في إقامة البرهان بقدر الامكان على صواب
وجهة نظري ، وسيكون ذلك عن طريق تفسير الأحلام
التي بين يدينا ..

إذا حلم حالم أن أباه مات مثلاً ، فليس معنى ذلك أنه يريد له الموت في الوقت الحاضر بل معناه أن هناك ذكرى مدفونة من زمن بعيد .. من عهد الطفولة مثلاً ، تتضمن هذه الرغبة التي كتبها اللاشعور ، فمعنى تحقق رغبة في الحلم لا يقتضى أن تكون رغبة حالية ، بل مجرد رغبة ساورت الحالم في عهد من عهود طفولته الأولى !

وأنا أذكر هذا التحفظ ، وأنا متيقن من أن الكثيرين لن يقنعوا به ، ويستنكرون أن يتمنى طفل موت أبيه في أى لحظة من لحظات حياته ، وسينكرون بشدة أن يكون مثل هذا الخاطر خامرهم شخصياً في أى يوم من أيام حياتهم ، حتى في الطفولة !

ولذا نجد من المناسب أن نعهد لهذه الفكرة ببحث علاقة أى طفل بأخوته .. فهناك خطأ شائع أن علاقة الطفل بأخوته تقوم على الحب مائة في المائة ، ليس من المؤلف أن نجد بين الأخوة البالغين فنونا من العدااء والتناوب ؟ .. أن من السهل أن نتبع جذور هذا العدااء لنجدها متصلة في السنوات الأولى من الطفولة ..

بل أن من اليسير أن نعرف أخوة بالغين تربطهم اليوم صلة المحبة ، وكانوا بشهادة الجميع في طفولتهم لا يكفون عن الشقاق والشجار .. فلا بد بين الأكبر والأصغر في الأخوة الأطفال من عدااء يقوم على السيطرة من جانب ، وعلى الشعور بالقهر والأدلال من جانب آخر .. ولا بد للاعتماد في هذه الفترة من أن تتأصل ، ولكن ليس معنى ذلك انطواء نفوس أولئك الأطفال على الشر ، لأن هذه المرحلة من الانانية وتنازع الأطماع تنلونها في الغالب مرحلة أخلاقية تقوم على الإيثار .. والإيثار هو عملية سيطرة من الرقابة الشعورية على النوازع الفطورية الانانية ، فتكبحها أو تحولها إلى صورة أسمى ..

وحيثما يتوقف هذا التحول الخلقى - قبل تمام النمو - يظل الشخص أنانيا يرفض أن يرى شيئا سوى مطالبه الخاصة ، فيندفع الى تحقيقها غير مبال ، وقد نسمى هذا انحرافا ، وهو ليس في حقيقته الا توقف عن النمو النفسى .. !

ومهما يكن من شيء ، فمن المسلم به ان الكثيرين ممن نراهم في حال كبرهم يعززون اخسوتهم كل الامزاز ، ويبرونهم ، ويستهلون فجيرة فقدمهم ، انما كانوا يضرعون لهؤلاء الاخوة انفسهم في عهد الطفولة وغياب انتقامية سيئة جذيرة ان تتحقق في اخلامهم وهم كبار ! ولا أحب أن أترك هذا الموضوع من غير أن ألفت نظر القارئ الى امر شائع في جميع البيوت ، حين يولد طفل جديد للأسرة ، فاذا بالطفل الذى قد يكون فى الثالثة أو الرابعة من عمره يجد نفسه موضع منافسة ومزاحمة من وليد طارئ ، فيبدى من ألوان الضيق به والغيرة منه والعدوان عليه ما هو شائع معروف ..

وأنا أعرف شخصا طفلة لم تتم العام الثالث من عمرها ، حاولت محاولة جدية أن تخلق بيديها الصغيرتين شقيقها حديث الولادة .. فليس أشد من غيرة الأطفال الصغار ، ولا أصرح منهم فى الأمراب عنها .. وإذا فرضنا أن الوليد الجديد حقق رغبة الاخ أو الاخت فودع الحياة بسرعة ، فإن الاخ أو الاخت لابد أن يشعر بالارتياح للتخلص من هذا المزاحم القضولى .. ولكن هذه الراحة لا تدوم ، فاذا بالطبيعة تفعل فعلها وإذا بمولود جديد يظهر فى البيت ويستتأثر بالرعاية والعناية والاهتمام ، ومن الطبيعى فى هذه الحالة أن يتمنى الطفل حدوث نفس المكروه المريع مرة أخرى ، ولا يمنع ذلك الا أن يكون الشقيق الأكبر اختا ، وأن تكون قد بلغت

من السن ما يبدأ فيه لديها نشاط الامومة .. فتعامل
هذا الوليد الصغير وكأنه دميتها التي تدللها وتبناها ..
وكل هذا جدير أن يؤصل لدى الاطفال الصغار
رغبات خبيثة وتمنى الموت لآخوتهم .. ثم ينمو تكوينهم
الاخلاقي فيدركون شناعة هذه الرغبة ويكتبونها في
اللاشعور ، وهذا ما يجعلها تظهر بعد سنوات طويلة في
الاحلام ..

ومن النادر حين أستعرض أحلام مرضاي أن يخلو
أحدهم من الحلم بوفاة أخيه أو أخته بصورة أو أخرى ..
وأطرف حلم من هذه الاحلام ما روتة إحدى مريضاتي،
فقد رأت في منامها وهي في السنة الرابعة من عمرها
حشدا من الاطفال الصغار ، جميعهم من آخوتها وأقاربها
بنين وبنات يحبون فوق أرض حقل أخضر ، وفجأة نبتت
لهم أجنحة وطاروا جميعا أمام عينيها الى أن اختفوا في
الجو وهي تنظر اليهم ..

وهو حلم يسدو لاول وهلة ولا علاقة له بالموت ..
ولسكن بعد الاستقصاء والتحليل علمت أنها قبل ذلك
الحلم كانت قد سمعت بوفاة طفل من أقاربها ، فسألت
ذويها ماذا يحدث للأطفال الذين يموتون ، فأخبروها أنهم
يتحولون الى ملائكة ذوى أجنحة ويطيرون بعيدا الى
السماء !

واذا عرفنا هذا ، فمن السهل أن نتصور المضمون
الحقيقي لحلم صغيرتنا الذي يبدو لطيفا بريئا .. لقد
رأت جميع أقاربها وأصدقائها الصغار يتحولون الى ملائكة
ويطيرون كلهم فيفسيحون في السماء وتبقى هي وحدها ،
وهذا معادل للقول بأنهم جميعا ماتوا ، ولم يبق على قيد
الحياة سواها ، وهذا الحلم إنما هو تحقيق لرغبة الحاملة
الخفية في أن يموت كل الاطفال في الوسط الذي تعيش

فيه وتنفرد هي بالاعزاز والرعاية
والعادة الجارية الا يشهد الاطفال احتضار الموتى ،
ولذلك لا يعرفون عن الموت سوى انه غياب الشخص ،
وهذا قريب في ذهن الصغار أن يقترون بالراحة من ازعاج
هذا الشخص اذا كان مصدر ازعاج له .. !

واذا فرضنا أن طفلا صغيرا تركت مربيته الخدمة
لسبب من الاسباب وبكى لغيابها ثم يثس من عودتها ..
وبعد عام أو عامين ماتت أمه الحقيقية ، فمن الطبيعي أن
يحس بنوع واحد من الاحساس في الحالتين لان وقعهما
عنده واحد .. !

وتحس نبالغ كثيرا في نسبة الاحساس المرهف للاطفال
بالنسبة للغير ، فمن الملاحظ أن الصغار لا يهتمون كثيرا
لغياب أي فرد .. وهذا ما يثير بعض الامهات اللواتي
يفارقن صغارهن بعض الوقت لاسباب ضرورية ، مثل
زيارة ذوي القربى في بلد بعيد لمدة قد تطول إلى أسابيع
كثيرة .. حتى اذا عادت الام ازعجها ان صسغارها لم
يسألوا عنها أثناء غيابها مرة واحدة

ومثل هذا الموقف من الصغار حري أن يجعل الطفل
لا يكثر كثيرا اذا رحلت الام رحلتها الابدية وهو صغير ،
وان كان سيلذكر ذلك الحادث فيما بعد .. فالموت في نظر
الصغير ليس الا مجرد غياب ، ومن الطبيعي اذا اضمر في
لا شعوره الرغبة في غياب شخص آخر ليتخلص من
مضايقاته ان تتخذ هذه الرغبة صورة الموت .. فرغبة
الموت في الاحلام ليست في حقيقتها سوى الرغبة في
التخلص من شخص

ويبقى بعد ذلك سؤال وجيه : اذا وجدنا تبريرا من
طفولة الشخص لثمنيه وفاة أخوته ، فكيف يمكن أن نفهم
الاحلام التي تدل على رغبته في وفاة والديه أو أحدهما ..

وهو يدين لهما بالحياة ، ولم يعرف منهما الا الحب
والرعاية ، ومن دواعي انانيته أن يرجو لهما طول البقاء
لان راحتهم وتلبية رغباتهم ومطامعهم مرهونة بوجودهما على
قيد الحياة ..

ان الاجابة عن هذا السؤال ستحيلنا حتما الى ملاحظة
اخرى ، هي ان الحالم يرى غالبا في منامه أن الميت هو
الوالد الذي يشاركه جنسه .. بمعنى أن الابن غالبا يرى
في الحلم موت أبيه ، وأن البنت تحلم بموت أمها ، ولا أزعج
ان هذه القاعدة مطلقة .. ولكن هذا هو الذي يحدث
في اغلب الاحيان ، ومرجعه الى أن الطفل في بعض مراحل
نموه ، يرى في الاب الذي من جنسه غريما له في حب أمه
يستفيد من اقصائه الانفراد بعواطفها ، وأن الطفلة كذلك
تشعر بالغيرة من أمها في بعض مراحل نموها .. وتود أو
أخلت لها الام الجو كي تنفرد بعواطف أبيها

وانى لأعلم أن الكثيرين من الاتقياء سينظرون الى هذه
الدعوى نظرة انكار واشمئزاز .. ولكن مكارم الاخلاق
شيء والواقع الذي تسجله الوقائع العلمية شيء آخر !

وان من يلقي باله لاطوار نمو الاطفال وعلاقتهم بوالديهم
لخرى أن يجد في تلك العلاقات أكثر من سبب للعداء ..
فلو تركنا قدسية الوصايا العشر جانبا وما تفرضه من
أكرام الوالدين ، للاحظنا أن الطفل الصغير تخامره رغبات
أقوى من تلك الوصية .. فكلما اشتد سلطان الاب في
البيت شعر الابن بالضيق والحقد ، وكاد صبره أن ينفد
انتظارا للتخلص من تلك السيطرة المرهقة ، وهذا مصدر
لعداوة خفية لا شك فيها ، قد يكتبها اللاشعور فترسب
في الاعماق انتظارا لغفلة من الرقيب ..

وإذا نظرنا الى الفتاة وجدناها أكثر احساسا برقابة
أمها وضغطها ، ولا سيما أن الام تحاول أن تؤخر بقدر

الامكان مظاهر نضوج ابنتها حتى لا يكبر بها ذلك في عيون الناس .. وكل هذا يجعل الفتاة تنطوى على الضيق بأمها !

واذا اضعنا الى هذا أن الميول الجنسية ترجع أصولها الى الطفولة الاولى ، فسنذكر أن ميل الفتى يكون نحو أمه وأن ميل الفتاة نحو أبيها ..

وقد شهدت بعيني كثيرا من الحالات التي تدل على سرور البنت بغياب أمها ، وهي في سن وسط بين الطفولة والبلوغ ، ومن ذلك فتاة في العام الثامن من عمرها ، كانت تنتهز فرصة غياب أمها عن البيت لتجلس في مقعدها على المائدة ، وتعلن أنها ستقوم بدور الأم .. وتبدأ في توزيع الطعام والعناية بكل فرد من اخوتها كما تفعل أمها ..

وهناك طفلة أخرى لم تتجاوز الرابعة ، كانت تسفر عن رغباتها بصورة أوضح من هذا كلما غابت أمها عن الدار اذ تقول :

— في وسع ماما أن تغيب كما تشاء .. سأتزوج أنا بابا !

هذا مع أن تلك الطفلة كانت تحب أمها أشد الحب ! وتلاحظ أنه عندما يسافر الأب فترة من الزمن ، وينام الولد فيها في الفراش مع أمه ، ثم يعود الأب ويستعيد مكانه في الفراش ، فمن المحتم أن يضم هذا الولد الرغبة في أن يظل أبوه غائبا باستمرار كي ينعم هو بالنوم مع أمه بلا انقطاع ، وأسهل تعبير على الغياب المستمر هو الموت ، لأن الطفل يعلم أن الموتى هم الذين يغيبون غيبة أبدية لا سبيل الى عودتهم منها .. فالموت هو الضمان الوحيد لاستمرار الغياب ..

ومن الحالات التي مارست تحليلها ، أكرم بأن الابوين

هما أهم الأشخاص في نفسية الطفل الذي يصاب بمرض عصبي بعد بلوغه . . فيكفي جدا أن يكون أحد الأبوين مفرطاً في محبته ، وأن يكون الآخر مفرطاً في قسوته ، كي تكون في نفسية الطفل اضطرابات شديدة تمهد لظهور المرض العصبي

وما يصدق على المرضى بأمراض عصبية يصدق أيضاً على الأشخاص العاديين ، وكل ما هناك أن الاضطرابات الطفلية تحولت عند فريق منهم إلى مرض ، ولم تتحول عند فريق آخر لأنها لم تكن كافية في شدتها . .

وكل ما يمتاز به المرضى بأمراض عصبية هو تعبيرهم السافر عن الحب الشديد لأحد الأبوين وعن الكره الشديد للآخر . . أما عند الأشخاص العاديين ، فهذا الشعور لا يكون بمثل ذلك الوضوح أو تلك الصراحة



ولا أستطيع أن أختتم الحلم بموت أحد الأحياء من غير أن أعلق على ظهور هذه الرغبة بصورة سافرة في بعض الأحياء ، فلا بد لهذا السفور من شروط ، والشرط الأول أن يكون في اعتقادنا الواعى أن هذه الرغبة أبعد ما تكون عن ذهننا ، ولذا لم تأخذ الرقابة الشعورية حذرهما الكافي من ظهور هذا المخاطر الشنيع ، وما أشبه هذا بقوانين «صولون» التي لم تنص على عقاب من يقتل أباه ، لأن المشرع الكبير لم يخطر بباله أن شيئاً كهذا يمكن أن يحدث ، والشرط الثانى أن يشر هذه الرغبة المكبوتة أى نوع من القلق في اليوم السابق على حياة شخص عزيز ، فتتخذ الرغبة المكبوتة من هذا القلق قناعاً تفلت به من عين الرقيب الشمورى !

٣ - الحلم بالامتحان

ومن الاحلام النموذجية أيضا أن يحلم المرء أنه راسب في الامتحان ، ويلاحظ أن هذا الحلم يتراءى لمن اجتازوا ذلك الامتحان نفسه بسلاسل في الماضي ..

واذكر من تجاربي الشخصية أنني لم أرسب ، وأنا طالب طب ، الا في مادة الطب الشرعي ذات مرة ، ولكني لم أحلم بعدها اطلاقا بأنني رسبت في تلك المادة بالذات أو أعدت فيها الامتحان .. بل حلمت أنني أعيد الامتحان أو رسبت في امتحان الكيمياء ، أو الحيوان ، أو النبات ، وكلها مواد كنت قد نجحت فيها بدرجة الامتياز .. أو أنني أؤدي امتحانا في مادة التاريخ وهو من المواد التي نجحت فيها في البكالوريا بتفوق كبير

واعتقادي أن هذه الامتحانات التي يحلم بها الانسان ، ويكون قد نجح فيها بتفوق لا يبرر ذلك الفرع ، إنما هي كنبات عما في الحياة الجنسية من امتحان لرجولة الشخص ، ومواقف لا يكفي النجاح السابق فيها للاطمئنان على المستقبل

وربما كان الحلم نوعا من اللوم على اتيان الشخص في طفولته لافعال جنسية يخجل منها ..

الفصل الرابع

عمليات الحام الأول. • الرمزية في الأدب



عمليات الحلم

ان كل اهتمام السابقين بالأحلام كان منصرفا على تاويل الاشكال الظاهرة منه .. اما نحن فقد أدى بنا البحث الى وجود مضمون مستتر او باطن لسكل حلم وراء شكله الظاهري ، فكل حلم انما يرمى بمحتواه الباطن الى تحقيق رغبة لا شعورية لدى الحالم ، وان كون هذه الرغبة لا شعورية يجعلها هدفا « للمصادرة » من الرقيب الشعوري ، وتهربا من هذه « المصادرة » يلجأ الحلم الى عمليات تنكر بعيدة المدى لاختفاء معالم تلك الرغبة الممنوعة أو المكبوحة ، ومن هنا يأتى التشويه والالتواء والغموض الذى يسود اشكال الاحلام ، ويحدث التفكك الواضح وعدم التناسق بين اجزائه .. فهناك من الاجزاء ما لا حاجة الى الامعان فى اخفاء معالمه ، وهناك اجزاء اخرى يحتاج الامر فيها الى عمليات تنكر مسرفة .. وهكذا ينقطع الانسجام بين اشكال الحلم فى اجزائه المختلفة ونخرج من هذا يان فى الحلم تيارين أحدهما سطحي والآخر خفى ، والتيار السطحي انما هو تعبير بطريقة « ملفزة » غالبا وملثوية عن التيار الخفى ، ولذلك يجب علينا أن نستخدم الفطنة لنعرف مدلولات تلك « اللغة الهيروغليفية » التى يعبر بها المضمون النفسى للحلم عن أغراضه !

ان هذه اللغة الغامضة نوع من الكتابة بالصور .. لا ينبغي ان نربط صورها بعضها ببعض ، بل يجب أن

نأخذ كل صورة على حدة وننقلها في جزئيتها الى لفظة الحلم الباطنة ، مع مراعاة ان الصورة مجرد رمز وسأضرب مثلاً للتوضيح .. فأفرض أن أمامي احد تلك الالغاز المصورة ، وهو عبارة عن بيت فوق سطحه سفينة ثم حرف من حروف الكتابة .. وشخص يجرى بدون رأس .. وما الى ذلك من المتناقضات التي أراها خالية من المعنى المعقول جملة وتفصيلاً ، لأنه لا يمكن اعتبار سطح الدار مكاناً مناسباً للسفن ، وأشد أمعانا في التناقض أن يجرى شخص وهو بغير رأس ، ثم كيف نحل وجود حرف واحد في هذا الحلم ؟ .. ان الحروف لا توجد في المناظر بل على صفحات الاوراق ! ان الطريق الصحيح لقراءة هذا الشكل ، هو أن نحل طلاس كل عنصر من عناصره على حدة ، وعندئذ سنجد من مجموع هذه الاشياء معنى معقولا جداً ..



وأول ما يواجهنا عند بحث العلاقة بين التيار السطحي والتيار الخفي في الحلم ، أو بين التعبير والمعنى الكامن ، هو أن التعبير الظاهري مختزل ومفكك ، فلو كتبت ما أراه في الحلم لما استغرق أكثر من بضع سطور ، ولكن تعقب الذكريات المتصلة بهذه الصور ، وما فيها من التأويل ، لابد أن يستغرق بضع صفحات .. ثم لو أتى تابع التفسير بعد ذلك والتحليل ، لوجدت مزيداً من الذكريات يشير اليها الحلم من طرف خفي ، وهذا شيء يقارب في العمليات الكيماوية عملية التكثيف .. فمن سحابة من البخار نخرج بدلو من الماء

وربما سأل سائل بعد ذلك : هل من حقنا أن نعتبر جميع الخواطر الكثيرة التي يستخرجها لنا التعطيل كانت فعلاً متمثلة في النشاط النفسي الذي نتج عنه

الحلم ؟ .. وهل لا يكون من المعقول ان تلك الافكار التى استخرجها التحليل انما هى فى جزء كبير منها اضافات اقحمها التحليل على عملية تكوين الحلم ؟

من الطبيعى فى هذه الحالة ان نعتبر كل الذكريات المستترة وراء شكل الحلم ، هى فى الواقع سبب وجود ذلك الشكل .. فمن غير هذه الدوافع الباطنة ما كانت النفس لتنشط لخلق الصور التى تراءت لنا فى الحلم ..

ومهما يكن من شئ ، فمن المقطوع به ان بنية الحلم جاءت نتيجة لعملية تقطير أو تكثيف معقدة .. فمن واجبنا الآن ان نبحث فى كيفية قيام النفس بهذه العملية ولا توجد وسيلة لتعقب هذه العملية الخفية افضل من فحص حلم حدثت فيه عمليات التقطير أو التكثيف على مدى واسع ، والحلم الذى سأتناوله الآن رآه احد مرضاى .. وكان يعالج عندى من حالة خاصة هى الفرع من الاماكن المقفلة

رأى الحالم نفسه راكبا مع مجموعة كبيرة من الاشخاص المجهولين فى شارع « س » ، وفى هذا الشارع وجدوا خانا من النوع السوقى (وهذا يخالف الواقع) وبداخل هذا الخان وجد مسرحية يجرى تمثيلها ، وقام بدور المتفرج بعض الوقت ، وبدور الممثل فى احيان اخرى ، وكان على الموجودين بعد الفراغ من التمثيل ان يبدلوا ثيابهم لينطلقوا الى المدينة .. فنزل بعضهم فى الطبقة الارضية ، ونزل الآخرون فى الطبقة التى تعلوها ، ثم تنازع الفريقان .. قاهل فوق ساخطون لان اهل تحت يتلکاون ويعطلونهم ، وكان شقيق الحالم فى الطبقة العليا ، اما الحالم نفسه فكان فى الطبقة السفلى ، واغضبه من اخيه انه ومن معه يستعجلونهم بصورة مزعجة ، وأحس الحالم ان تقسيم المجموعة الى فوق وتحت مسألة مفروغ منها

منذ بداية الحلم ، وينطلق الحالم بعد ذلك بمفرده صاعدا شارع « س » المرتفع متوجها الى المدينة ، فيجد مشقة كبيرة في ذلك الصعود .. حتى انه في بعض الاحيان لايقدر على الحركة من موضعه ، وعندئذ يتقدم منه رجل مسن ، ويذكر ملك ايطاليا بسوء .. وبمجرد وصول الحالم الى قمة الشارع الصاعد يشعر أن السير صار سهلا للغاية ، وكان شعوره بصعوبة الحركة وهو صاعد جادا الى درجة انه بعد اليقظة كان يظن أن ما حدث امر حقيقي وليس مجرد حلم

وابادر فأقول ان صعوبة الصعود مع اللهث ظاهرة مرضية عانى منها قبل سنوات ، حتى لقد اعتقد الاطباء انه مصاب بالسل .. ثم اتضح انه يعاني من علة عصبية هستيرية تجعله يقلد المصابين بذلك المرض

وأما كونه يحاول الصعود فلا يستطيع ، فهذا نوع من العجز يصور به الحلم الخزى .. وهو شيء رأيناه بوضوح في أحلام العرى الاستعراضية

والغريب أنني حينما كنت أصصفي لرواية الحلم ، وسمعته يذكر صعوبة الصعود في البداية ثم سهولته عندما وصل الى القمة ، تذكرت على الفور مطلع رواية سافو للكاتب الفرنسي « الفونس دوديه » حين كان البطل يصعد السلالم الى مسكنه حاملا على ذراعيه صيده العابر ، معشوقته سافو .. فكانت خفيفة الحمل جدا في البداية ، ثم أخذت تثقل عليه شيئا فشيئا حتى انبهرت انفاسه قرب القمة !

وما من شك في أن المؤلف الفرنسي الشهير أراد بهذا المشهد أن يرمز الى مصير كل علاقة جسدية ، مهما بلغت درجة افئتان العاشقين أحدهما بالآخر .. ومن معرفتي بأحوال الحالم ، كنت على علم بعلاقة له

مع احدى المشتغلات بالمرح فيما مضى ثم قطع ما بينه وبينها ، وليس من النادر أن تعمس الأحلام الى قلب الحقائق على سبيل التشويه أو القموض ، فعلاقة سافو بدأت هينة ثم انتهت الى المشقة

ولما صسارحت مريضى بما خطر على بالى من تلك المضاهاة ، قال لى :

— بل اننى رأيت فى المساء السابق تعثيلية اقرب الى حلمى من رواية سافو ، وبطلة المسرحية فتاة من بنات الاسر تنكب الطريق بعد ذلك واتصلت ببعض الوجهاء الى أن بلغت ذروة الشهرة .. ولكنها دفعت الثمن فهوت سريعا

ولسكن ما صلة شارع « س » بالحالم ؟ ..
ان المثلة التى كان على صلة بها تقطن شارع «س» ، وهذا الشارع ليس فيه خانات ، فمن أين أتت علاقة الخان بذلك الشارع ؟

ان ذلك الشارع يشير الى عشيقته السابقة .. وكان قد أقام فى فيينا فترة من الزمن ليكون قريبا منها ، واضطر فى تلك الفترة الى النزول فى فندق حقير لقرب موضعه من الشارع الذى تسكنه ، ولما غادره ليسافر قال لسائق العربى :

— احمد الله انى سلمت من حشرات هذا الفندق ..
فاظهر الخوذى عجبه من نزول سيد مثله بهذا المكان الحقير ، وعبر عن ذلك بقوله انه ليس فى الواقع سوى خان لا ينزل به السادة ..

وأما هجر صاحبه له ، فهو مرتبط فى نفسه من غير شك بهجر آخر حدث فى الطفولة ، هو انقطاع صلته بمربيته أو حاضنته ، وأما مجموعة الرفاق الغرباء ، فمعناها الرمزي دائما هو الاستتار أو التخفى واخفاء

العلاقة السرية أو العمل المخجل عن ميون الناس
وليس في هذه المجموعة من الغرباء من يعرفه الحالم
سوى شقيقه الأكبر الذي نزل في الطبقة العليا من الخان ،
ونزل هو في الطبقة السفلى .. وهذا أيضا قلبه للواقع ،
لان هذا الاخ هو الذي هيبت به ظروف الحياة عن
مستواه وفقد ثروته ومكانته .. فكان قلب الحقيقة سياسة
عامة في ذلك الحلم

ان قلب الاوضاع بالنسبة للاخ الذي آله سقوطه عن
مكانته يتفق مع قلب الاوضاع بالنسبة لصلته بخليته
التي آله هجرها .. فاذا به يرى صاعدا في شارع «س»
الذي يرمز الى شخصها بمشقة وخزى في البداية ، ثم
بخفة وانطلاق في النهاية .. وذلك بعكس ما حدث له
ولعشيق سافو في الرواية المشهورة

وما من شك في أن لهذه التعبيرات ذات المغزى الجنسي
صلة بحالة المريض العصبية والجنسية ، وما من شك
كذلك في أن الاخ الأكبر قد يرمز الى جانب حقيقته
الواقعية الى جميع من هم أكبر منه وأقوى ، فنافسوه
في حب عشيقته وانتهوا باقصائه عنها ..

وأما ذلك الشخص الذي قابله وجعل يذكر ملك
إيطاليا بالسوء .. فالغالب أنه رمز لمن يطلقون السنتهم
في أعراض الناس مهما كانت مكانتهم عزيزة



وأريد الآن أن أذكر حلما آخر رآته سيدة مسنة كنت
أعالجها ، وفي أحلامها عمليات تكثيف وتقطير عنيفة .. لان
حالتها كانت تتضمن اضطرابات جنسية شديدة مكبوتة ،
كشفت لها عنها بالتحليل قبل ذلك الحلم ، وأثار هذا
الكشف استنكارها وخوفها الى درجة كبيرة ..

حلمت هذه السيدة المسنة انها تذكرت فجأة اثنتين من الخنافس ، كانت قد حبستهما داخل صندوق .. وفتحت الصندوق فوجدتهما في حالة ضعف ، وطارت احدهما بعد ذلك من النافذة ، فأسرعت الحائلة باغلاقها فحطمت الخنفساء الاخرى بالمصراع ، وكان اغلاقها للنافذة بناء على طلب او امر تلقته من مجهول وقد اثار ذلك تقززها ..

وأول ما يتبادر الى الذهن هو ما حدث في اليوم السابق مباشرة ، فقد كان زوج هذه السيدة مسافرا فصارت بنتها المراهقة تنام معها في فراشها ، وقد نبهتها قبل النوم ان حشرة سقطت في وعاء المساء ، ولكنها لم تكثرث لاتقاذا .. وتذكرت أيضا انها قرأت بعد الظهر في الصحيفة اليومية عن تعذيب بعض الصبية لقطة القوا بها في ماء ساخن الى درجة الغليان

وليس هذان الامران على شيء من القيمة بالنسبة للحلم ... ولكنها اثارا في نفسها موضوعا واحدا هو شعور القسوة بالنسبة للحيوانات والحشرات

ومما يرتبط بهذا الموضوع من ذكرياتها البعيدة ان ابنة السيدة ، عندما كانت طفلة ، كانت تقسو على الحشرات والحيوانات الصغيرة ولا سيما على الفراشات التي تصيدها وعلى يرقات دود القز .. بل حدث ذات مرة انها انتزعت أجنحة بعض الخنافس

كل هذا حدث من البنت وهي صغيرة جدا ، فلما شبت قليلا صارت نموذجا لركة القلب وهو امر كان يثير عجب الام لما فيه من تناقض واضح

وفي المسنة التي كانت بنتها تجمع فيها الفراش والخنافس ، كانت القسوة على الخنافس بوجه خاص

امرا شائعا بين الجميع لانتشار وباء خطير تنقله تلك الحشرة

وفي الليلة التي رأت فيها السيدة هذا الحلم كانت ترتب أوراقها القديمة ، وكلما وجدت شيئا طريفا كانت تتلوه على الاسرة ، ومن بين هذه الرسائل خطاب غرام وصلها من معلم البيانو وهي صغيرة ، ورسالة غرام أخرى من مقيم بها ينتمى الى الطبقة الراقية

وهنا تبرز صلة عجيبة بين الخنفساء التي قست عليها وبين العشق الشديد الذي انطوت عليه رسائلها القديمة .. ففي احدى مسرحيات كليست :

— ان حبك لها شبيه بهيام الخنفساء !
وهذا كناية في اللغة الالمانية عن الافتتان الشديد والشغف المتلف

وأعرف من حالة تلك المريضة انها شديدة القلق على زوجها حين يكون مسافرا ، وتنتابها من ذلك تخیلات وأوهام اثناء يقظتها في النهار ، وفي الوقت نفسه أعرف من تحايل حالتها انها تضرر الشكوى والتذمر للضعف الذي أصيب به زوجها بعد أن علت به السن ..
ومن هذا القبيل انها رأت اثناء النهار ، وهي تقوم بأعمال المنزل ، شبحا وهميا كزوجها ، وجاء على لسانها موجهة الخطاب الى خيال زوجها قولها :
— اشفق نفسك !

ولما تعقبتها بالاسئلة عن ذكريات الشفق لديها اعترفت انها قرأت قبل ذلك بوقت قصير ان المشفق يحدث لديه انتصاب شديد !

ومن حيل الرغبات اللاشعورية أن تتحرى في تخفيها وتنكرها أبعد الاشكال عن فحواها .. فالرغبة المخبطة في انتصاب زوجها رحبت بهذا القناع البعيد عن الذهن ،

وهو قناع الانتحار شيقا .. فكأنها تريد أن تقول
لزوجها العجوز الغائب :

— احرص على أن تصل الى تلك الحالة بأى ثمن !
وأما فتح النوافل واغلاقها ، فمردها في الحلم الى
الخلاص بينها وبين زوجها .. فهي تحب النوم في هواء
متجدد ، وزوجها حريص على اغلاق النوافل ويطلب
اليها ذلك دائما .. فكأنما طلبه تذكرا بوجوده في حياتها
وتنفيذ طلبه ، أى ان الارتباط بزوجها ، أدى الى سحق
الخنفساء أى عواطفها التي كانت تريد أن تنطلق بحرية



والى جانب عملية التكيف توجد عمليات أخرى هي
عمليات الأبدال .. ففي الحلم الذى يشبه افتتاحية
رواية سافو، كان الشكل الظاهري للحلم عبارة عن عمليات
صعود وهبوط ووجود الناس في طبقتين : عليا ، وسفلى،
ولكن المضمون الخفى للحلم هو تخوف الخالم من الارتباط
بأشخاص ذوي أقدار وضيعة ارتباطا جنسيا ..

وإذا نظرنا في حلم السيدة بالخنفساوين ، وجدنا
الموضوع الاصلى أو الخفى للحلم هو العلاقة بين الحياة
الجنسية والقسوة البدنية ، ولكن الحلم يتخفى فيحذف
السالة الجنسية حذفاً تاماً ، ويستبدل بها الطرف الآخر
في العلاقة وهو القسوة البدنية .. وهذا الأبدال من
شأنه أن يبعد الدهن من المضمون السرى للحلم ..

وهذا الأبدال من شأنه أيضاً أن يجعل مهمة التفسير
عسيرة ، فان الأشياء التي يشتد اهتمام النفس بها هي
أكثر الأشياء تعرضاً للأبدال ، ومن هنا يأتى توهم البعض
أن ما يتكرر في الحلم هو المهم ، مع أن الواضح المتكرر في
الحلم هو أبعد الأشياء عن الاهتمام الخفى للنفس

ومن الوسائل التي يلجأ بها الحلم الى الربط بين الاشياء ، وسيلة بسيطة هي حدوث الشئيين في زمن واحد في الحلم ، دلالة على ان هناك علاقة منطقية بينهما ، وذلك شبيه بعمل المصور الذي يجمع على المائدة في صورة واحدة فلاسفة بينهم فروق زمنية تصل الى عدة قرون .. فهو لا يعنى بذلك أن « ارسطو » كان يعيش في زمن « كانت » أو يمكن أن يجتمع معه في مكان واحد .. بل ما يعنيه ان بينهما صلة عقلية ، ولكنه لا يستطيع التعبير عن الصلة العقلية بالرسم ، فيستخدم لذلك الصلة الزمانية المكانية

وأما علاقة السببية ، فالحلم يتبع في بيانها المنهج الذي يمثل النموذج التالي :

رأت مريضتي أنها دخلت المطبخ فوجدت خادمتيها في حالة كسل ووبختهما لانهما لم تجهزا لها ما تأكله ، وتلمح في تلك الاثناء اكواما من الانية المفسولة يقطر منها الماء ، وتذهب الخادمتان لاحضار شيء من الماء فاذا بنهر طام يصل فيضانه الى مستوى المنزل فتخوضان فيه ..

وتصحو الحائلة ثم تنام لتري حلما يبدو منفصلا عن الحلم السابق ، ولكنه في الحقيقة مرتبط به .. ترى أنها تنزل من قمة ربوة عالية ، وتجتاز عقبات معقدة ، وتشعر بالفرح لأنها استطاعت النزول من غير أن يتعلق ثوبها بشيء يعوقها

وأول هذين الحلمين بمثابة تمهيد للحلم الآخر .. والمنزل الذي رآته هو منزل أبيها ، وأما نوم الخادمتين فشيء ألفت أن تسمع أمها تفعله .. وأما اكوام الانيسة فمستعارة من محل لبيع الادوات المنزلية يقع تحت ذلك البيت مباشرة ، وأما النهر الذي تخوضه الخادمتان ، وقد فاض حتى بنا يفرق البيت ، فكناية عن والد الحائلة

اللى كان مشهورا بتعلقه بالخادِمات ، وظل حاله كذلك الى ان اصاب بمرض فى موسم فيضان النهر قضى على حياته والمنزل يقع على شاطئ النهر فعلا ومغزى هذا الحلم رقم (١) عبارة عن جملة مترابطة بمثابة المقدمة من قضية لها سبب ونتيجة ، وهذه العبارة هى :

— اننى ولدت ونشأت فى هذا البيت الذى تضيق فيه الام بحياتها ، وتتضرر من اهمال شأنها بسبب الخادِمات اللواتى يخادِنهن ويتصل بهن الوالد اتصالا فاضحا الى ان مات .. والحالة الاقتصادية فيه والاجتماعية مخجلة حتى ان بأسفله متجر الأدوات المنزلية الرخيصة ..

أما الحلم الثانى فهو النتيجة لتلك المقدمة .. وفيه تحقيق لامنية الحالة ، فهي تنحدر من أصل عال ، ولكن العقبات التى تقيمها ظروفها المنزلية فى وجهها لم تتمكن من أصابتها بأذى ..



وأما علاقة التناقض أو التناقض التى يقول العقل انها مستحيلة فشيء لا يعترف به الحلم .. انه لا يعرف شيئا اسمه المستحيل ، بل ان من المألوف فى الأحلام ان يأتى الشيء فى صورة ضده أو تقيضه بقصد التمويه على الرقيب المشهورى ، حتى ان الانسان يحار فى البداية فى فهم الحلم ، وهل يقصد به الشيء أو ضده .. ومن العجيب ان اللغات العريقة فيها كثير من الكلمات التى تدل على الشيء وضده ، فكانها حيلة قديمة يفتتن بها العقل الانسانى !

وأجد من المناسب أن أعود الى الحلم السابق الذى كانت

فيه الفتاة تهبط الربوة العالية وتجتاز الحوائل المعقدة ،
فقد كانت في ذلك الحلم تحمل فرحا من فروع الاشجار
مزهرا بالزنايق البيضاء .. وهسدا رمز لنقاء الذيل
والبكارة العذرية ، ولكنها لاحظت بين هذه الازهار
البيضاء ازهارا حمراء ، ولاحظت ان جميع الازهار حين
انتهت من هبوط التل ذبلت وتساقطت !

ان تاويل هذا الرمز ان الفتاة فرحة لاستطاعتها ، رغم
النشأة السيئة في بيت أسرتها ، أن تمضي في طريق الحياة
طاهرة الذيل محافظة على بكارتها ، هذه الطهارة التي
تخللتها زهور حمراء ترمز الى الحيض والبلوغ ، وأما
الذبول فيدل على أن هذا السرور بالطهارة يقترب في الوقت
نفسه برغبة خفية في الحرية الجنسية

فالحلم قد عبر عن النقيضين في وقت واحد ، إشارة
الى أن النفس لا يمتنع أن يوجد فيها النقيضان ..



ومن الوسائل التي يعتمد اليها الحلم أيضا ادماج عدة
شخصيات في شخصية واحدة لصفات مشتركة بين هذه
الشخصيات ، حينما يريد الإشارة الى وجه التشابه
في الصفات لا الى الأشخاص أنفسهم .. فيظهر في الصورة
أحد هؤلاء الأشخاص دون الآخرين ، وتمثل في هذا
الشخص الظاهر جميع صفات الأشخاص الذين يمثلهم
وأحيانا نجد في هذا الشخص الذي يمثل نفسه
بالآخرين مجموعة منتقاة من ملامح الجميع ، فله أنف
هذا ، ولحية ذاك ، وهكذا ..

ومن الجائز أيضا أن يحمل الشخص المائل في الحلم
اسم أو وظيفة شخص آخر يمثل في الوقت نفسه، فنذكر

ان المفروض وجوده هو الشخص الغائب
وفي بعض الاحيان أيضا يمثل الشخص الحاضر شخصا
غائبا عن طريق انتقال حركاته فقط ، أو طريقته في
الكلام ، أو عباراته المأثورة عنه
والقدرة على المزج بين الاشكال والاشخاص قدرة غير
محدودة ، وهي صفة من صفات الخيال التي نجدها عند
الأطفال .. وقد تتمثل في الاساطير ، فهي من قبيل تصور
حصان له أجنحة وما الى ذلك ..



الرمزية في الاحلام

للأحلام رموز خاصة تستخدمها للتعبير عن الموضوعات المخجلة والممنوعة ، والجنس وما يتصل به من أهم هذه الموضوعات طبعا ، وطريقة الرمز مألوفة في حياتنا العادية حين نتحدث بالكناية عن الأمور الجنسية ..

وان انتظام هذه اللغة الرمزية في الأحلام للدلالة على الموضوعات الجنسية يدخل في روع المرء أن ذلك يجرى على حسب « شفرة » خاصة شبيهة بلغة الاختزال

والواقع أن طريقة الرمز ليست أسطوريا خاصا بالأحلام وإنما هي طريقة عامة في كل ما يتعلق بالاشعور .. فكم في الاناشيد الشعبية والاساطير والكلمات المأثورة والنوادر الدارجة على الألسن من رموز وكنائيات تفوق ما يوجد في الأحلام

والمألوف أن يكون هناك داع لاستخدام الرمز المعين ، وهو وجه شبه أو عنصر مشترك بين الرمز وما يدل عليه ..

والداعي إلى استخدام الرموز في الأحلام واضح ، ألا وهو التعبير عن المقاصد الخفية والمعاني الأصلية تعبيرا مستترا ينطلي على الرقيب الشعوري ، ومتى نجح رمز معين في إخفاء معالم معنى معين ، فإن الحلم يستأثر بهذا الرمز ويستخدمه دائما .. ولكن هذا الرمز لا يحتكر التعبير عن هذا المعنى ، فمن الممكن أن يستخدم الحلم رمزا

آخر ، فهناك نوع من المرونة في لغات الاحلام الرمزية ،
وهذه المرونة ترتبط الى حد كبير بمزاج الحالم وبقية
ظروف الحلم ..

وفي احيان كثيرة يدل الرمز الواحد في الحلم على اكثر
من معنى ، مثلما تدل الكلمة الواحدة في اللغة احيانا
على اكثر من معنى .. ويكون المعول في فهم المعنى المقصود
في الحالتين على سياق الحلم في جملة ..
وابدا ببيان بعض الرموز الشائعة :

- ١ - الملك والملكة = والدا الحالم أو الحاملة
- ٢ - الامير أو الاميرة = الحالم أو الحاملة
(ويمكن أن يحل محل الملك والملكة أى شخص عظيم
المقام في نظر الحالم)
- ٣ - الاشياء المستطيلة عموما
- ٤ - العصي والافصان
- ٥ - الاسلحة الحادة كالخنجر
- ٦ - المعول ومبرد الاظافر
- ٧ - اللعب والصناديق والادراج
- ٨ - الخوانات والمدافع
- ٩ - السفن وكل ما هو مجوف
- ١٠ - الحجرات ذات الابواب
- = الرحم عند المرأة
- ١١ - المفتاح والقفل
- = جهازا الرجل والمرأة
- ١٢ - المرور في سلسلة من الغرف المتداخلة
- = الزواج أو احيانا منزلا للدعارة
- ١٣ - السلام والربى
- = الفعل الجنسي

- ١٤ - الجدران الملساء التي ينزلق عليها الحالم وهو مرتفع ، أو يتسلقها ولا يجد بها نتوءات
= العلاقة الطفلية بالوالدين أو الحاضنة
- ١٥ - المائدة أو الخوان أو الفراش = الزواج
- ١٦ - موضوعات الغذاء = موضوعات الجنس أحيانا
- ١٧ - قبعة المرأة = آلة الرجل
- ١٨ - رباط العنق = آلة الرجل
- ١٩ - المعطف = آلة الرجل
- ٢٠ - المحاريث والبنادق والمسدسات = آلة الرجل
- ٢١ - جبال تعلوها الاشجار = أعضاء جنسية
- ٢٢ - الأطفال الصغار = الأعضاء الجنسية أحيانا
- ٢٣ - ملاعبة الأطفال = العبث بالأعضاء الجنسية
- ٢٤ - قص الشعر وسقوط الاسنان = الخصاء
- ٢٥ - الثعبان = آلة الرجل
- ٢٦ - المنطاد والطائرة = آلة الرجل
- ٢٧ - الطريق اليمنى = سواء السبيل
- ٢٨ - الطريق اليسرى = طريق الضلالة والجريمة
- ٢٩ - الطريق اليسرى = علاقة شاذة بنفس جنس الحالم
- ٣٠ - الطريق اليمنى = علاقة جنسية طبيعية
- ٣١ - عدم اللحاق بعربة أو قطار = فارق في السن
لا يمكن اغفاله
- ٣٢ - حقائب محمولة = خطايا تشخص الضمير أو
عضو المسافر الجنسي

ومعظم الرموز السابقة مستقاة من دراسة نشرها
« شتيكل » ومعظمها نوافق عليه .. ولكننا ننبه الى
أن الاحلام قد تستعمل رموزا عكسية للدلالة على أعضاء

التناسل ، وتستخدم أحيانا الرموز الذكرية لاجهزة
الاناث أو العكس .. وغالبا ما يدل هذا على رغبة الخالم
أو الحاملة في أن يكون من الجنس الآخر ، وليس من النادر
أن تمنى المرأة لو أنها كانت رجلا .. !

والأحظ أيضا أن الحلم قد يصور الأعضاء الجنسية
مستعينا بأعضاء أخرى من الجسم ، فيرمز لالة الذكر بيد
أو رجل ، ويرمز لالة المرأة بفتحة الفم أو الاذن أو العين ،
وقد نشرت في محاضراتي التمهيدية عن التحليل النفسى
مزيدا من التفاصيل الخاصة برمزية لغة الأحلام ..

وأريد الآن أن أضرب بضعة أمثلة عن كيفية استعمال
هذه الرموز فى الأحلام ، بحيث يكون الجهل بها حائلا دون
تأويل الحلم ، مما يلزمنا بالاعتراف بأن لغة الحلم رمزية

١ - رمز القبعة

وهو حلم .. أو بمعنى أدق جزء من حلم سيدة شابة
ينتابها ذعر من الأماكن غير المألوفة أو المحدودة نتيجة خوف
من الفجأة والفتنة :

- حلمت أنى أمشى فى شارع ، والوقت صيف ،
مرتدية قبعة من القش غريبة الشكل ، فهى مائلة الى أعلى
من الوسط وجانباها متهدلان الى أسفل بحيث كان أحد
الجانبين أكثر تهديلا من الآخر ، وكنت منشرحة الصدر ،
وأنا أمشى هكذا معتدة بنفسى ، وصادفت فى طريقى حفنة
من الضباط الشبان ، فقلت لنفسى وكأنى أخاطبهم :
- لا يستطيع أحدكم أن يمسنى بسوء ..

وحاولت أن أعرف من الحاملة رأيها فى القبعة ، وبماذا
تقترون فى ذهنها فلم أجد عندها أدنى فكرة عنها فقلت
لها :

- أعلمى اذن أن القبعة لا ترمز فى الأحلام الى شيء

على الإطلاق سوى عضو الرجل الجنسي .. وأنت قد
حلمت بالقبعة وجزؤها الاوسط متجه الى اعلى وجانباها
متهدلان .. !

ولم اتعجل التعرض لكون القبعة التي حلمت بها كان
احد جانبيها أكثر تدليا وتهدلا من الجانب الآخر ..
وتبركت ذلك الى فرصة مناسبة واستطردت :

- انك في الحلم تتباهين بأن لك زوجا ذا أداة جنسية
موضع الإعجاب ، تتحدين بها مجموعة الضباط المغازلين
المغوين للنساء والفتيات ، ومؤكدة لهم انه لا حاجة بك
الى ما لديهم ، وأنه لا سبيل لهم اليك .. لان زوجك الآن
قادر على حمايتك من كل هؤلاء حين تخرجين معه فلا
يجسر انسان على التعرض لك بسوء

والعجيب ان مريضتي صمتت بعد هذا التفسير طويلا،
ثم سألتني فجأة :

- هل جميع الرجال هكذا ، أم أن زوجي وحده هو
الذي ينفرد بأن احدى خصينيه أكبر وأكثر تدليا من
الخصية الاخرى ؟ !
فكان هذا السؤال اقوى اعتراف بمطابقة رمز القبعة
في الحلم ..

٢ - السقوط تحت العربة

وسأروى الآن حلما آخر لهذه المريضة نفسها ، يرمز
فيه الطفل الصغير الى العضو الجنسي ، ويرمز فيه
السقوط تحت العربة للعملية الجنسية :

- أخرجت أمي ابنتي الصغيرة من البيت ، فاضطرت
ان أرحل وحدي بعد ذلك ، وركبت مع أمي قطارا ورأيت
من نافذته ابنتي الصغيرة تمشي على قضبان القطار
بحيث يتحتم وقوعها تحت العجلات .. وأسمع القطار

وهو يسحق عظامها ، فاشعر بعدم ارتياح ، ولكنه لا يصل الى حد الفرع أو الفجيرة .. وأجبل نظري من نافذة عربة القطار لأعرف هل من الممكن رؤية الاجزاء من الخلف ، ثم ألوم أمي لأنها أخسرت ابنتي الصغيرة من البيت وحدها ..

وأبدأ بالقول أن هذا الحلم ضمن سلسلة من الاحلام الطويلة ، لا يمكن فهمه تماما من دونها .. ولكني أستطيع أن أقول عن رحلة القطار أنها مستمدة من رحلتها حين أخرجت من مصحة الامراض العصبية ، كانت قد افتتنت بالطبيب المعالج فيها ، وقد ذهبت أمها بنفسها الى المصحة لتأني بها في القطار ، وجاء الطبيب المعالج الذي تعلقت به المريضة الى المحطة ليودعها ، وقدم لها باقة من الورد فتضايقت لان أمها كانت موجودة في لحظة الوداع العزيزة وهذا هو السبب في أن أمها تبدو في الحلم في صورة العدو الذي يعرقل محاولاتها الغرامية ويؤدي الى تضييع فرص لذتها ..

وإذا رجعنا الى تاريخ مريضتي ، وجدنا أن أمها المتزمتة كانت دائما تقوم في طفولة الفتاة بهذا الدور الثقيل ..

وأما النظر من النافذة لترى هل يمكن رؤية الاجزاء من الخلف ، فإن الذهن قد ينصرف الى أن المراد كما في ظاهر الحلم هو رؤية حطام فتاتها الصغيرة التي دهمها القطار ، ولكن الفتاة في الحلم ليست سوى رمز ، وكى نفهم الحقيقة يجب أن نعود الى طفولة المريضة الاولى .. حين رأت وهي صغيرة جدا أباه عاريا تماما في الحمام ذات مرة ، وكان ظهره الى ناحيتها ..

وتحدثني مريضتي عن أنها كانت تعتقد دائما أن أعضاء

الرجل الجنسية بحكم تدليها يمكن أن تشاهد من الخلف ..
أما المرأة فلا ..

وهذا الاعتقاد نفسه يحتم أن الفتاة الصغيرة في الحلم ليست طفلة وإنما هي أعضاء التناسل .. ومعنى كلامها عنها بقولها «صغيرتى» أنها تقصد أعضائها هي الجنسية . فكانها في الحلم تريد أن تلوم أمها برمز اخراج الفتاة من البيت وحرمانها منها لأن الأم أرادت منها أن تعيش وكأنها بغير أعضاء جنسية ، ومعنى أنها تمضي بعد ذلك وحدها مضطرة أنها تعيش بلا رجل يعاشرها ويكون لها قرينا وصاحباً ..

وأما السقوط تحت العربة ، أو القطار ، فرمز الى العملية الجنسية وما تقترب به من تحطيم شعرت منه لأول وهلة بعدم ارتياح لم يبلغ حد الفزع أو الفجيرة ، وهذا رمز أيضا الى رغبتها اللاشعورية في ممارسة الحياة الجنسية ، رغم ما تقترب به لأول وهلة من آلام أو عدم ارتياح .. وهذا هو جانب تحقيق الرغبة في الحلم ..

٢ - رمز الابنية والسلام الكهوف

ومن رموز أعضاء التناسل الابنية والدرجات الصاعدة أو الهابطة والكهوف المظلمة .. وسأروى الآن حلم شاب من مرضاي كان علاجه مسيراً ، فهو ذكي يساير العلاج .. ويسهم في تفسير أحلامه ببراعة ، ثم ينطوى على نفسه بعد ذلك فلا يستطيع المعالج أن يسبر غوره :
- رأيتني اتنزه مع والدي في موضع أعتقد أنه حديقة « براتر » لأنني رأيت فيه الروتوندا .. وأمامه مبنى صغير مشدود اليه منطاد ، ولكن المنطاد كان في الحلم غير قائم تماماً ، ويسألني أبي عن سبب كل هذه الأشياء فأعجب لسؤاله ولسكني أوضح له الأمور ، ونمضي بعد ذلك الى

رحبة فوق أرضها مسطح من الصفيح يريد أبى أن يقطع جزءاً منه ، ولكنه يتلفت حوله كالمتلصص قبل أن يقدم على ما يريد ، فأقول له :

— قل للحارس رغبتك .. وبعد ذلك لك أن تأخذ ما شئت وأنت مطمئن ، ومن هذه الرحبة سلم ينتهى إلى كهف فى باطن الأرض ، وجدران هذا الكهف أشبه بالاراك الجلدية المنضجدة ، وفى نهاية الكهف سرداب طويل ينتهى إلى كهف آخر ..
والريض نفسه لم يعجز عن تفسير هذا الحلم كما يجب ..

— أنى أعرف جيداً أن بناء الروتوندا هو أعضائى الجنسية ، وأن المنطاد المربوط إليها هو القضيب الذى أشكو مما به من ارتخاء ..

ونزيد نحن الأمر وضوحاً ، فنقول أن الروتوندا هى بمعنى أدق العجيزة ، ويدخلها الطفل عادة ضمن الأعضاء الجنسية .. والبناء الصغير الذى أمامه هو كيس الخصيتين ، والمنطاد هو القضيب فعلاً ، وأما سؤال أبى عن معنى هذا كله وجدواه ، فهو وضع مقلوب فى الحلم على طريقة الإبدال التى تحدثنا عنها آنفاً ..
والصحيح أنه هو الذى يسأل أباه ، ولما سأله فى ذلك ، عرفت أنه لم يوجه إلى والده سؤالاً كهذا فى أى يوم ..
فيكون ورود هذا الجزء من الحلم تعبيراً عن رغبة أضمرها الحالم فى الاستفسار من أبىه

وأما الرحبة التى على أرضها لوح من الصفيح ، فليست رمزا لأنها جزء مستمد فعلاً من مهنة والد الحالم ، وكان قد عمل فيها منذ مدة ، ولما كان فتى مثالياً من ناحية الأمانة فى العمل والتجارة فقد أثاره ما اكتشفه فى مؤسسة أبىه من تصرفات غير مشروعة ..

فلو وضعنا هذه النقطة في موضعها المتم للجملة السابقة لكانت :

— أخشى اننى اذا سألت أبى أن يوضح لى هذه الامور الجنسية بصراحة أن يخدعنى كما يخدع الناس في مزاوله مهنته ..

واما رغبة الاب في اخذ جزء من لوح الصفيح خلسة ، فهو أيضا نوع من الابدال حل فيه الاب محل الابن ، وهو رمز للعادة السرية . وتعليق الحالم بأن من الممكن عدم التخلّى ، معادل للرغبة في صلات جنسية سافرة

ويزيد الامر وضوحا أن رمز الكهوف والدرج المفضى اليها يعنى الزواج ، فصعود سلاله أو هبوطها معادل في الحلم للاتصال الجنسي ، واما الكهف المنضد الجدران الوثير اللين ، فهو الجهاز الجنسى عند المرأة

وقد تولى الحالم نفسه تفسير الدهليز المفضى الى كهف آخر بأنه في وقت مضى كان قد اتصل بالنساء ، ثم امتنع عن ذلك نتيجة ضعفه الجنسي المشار اليه في الحلم ، وهو يرجو أن يبرا من هذه العملية فيعاود هذا النوع من الاتصال

٤ - رمز المناظر الطبيعية

وهذا حلم لامرأة من العامة زوجها شرطى .. والمنظر الطبيعي في الحلم ، خصوصا الربى التى تكسوها الاعشاب والنباتات ، معادل للجهاز الجنسى عند المرأة :

— هجم بعضهم على المسكن ، ففزعت وأخذت تصرخ مستغيثة بالشرطة .. ولكن الشرطى يدخل بهدوء كنيسة صغيرة تفضى اليها بضع درجات ، وكان معه اثنان من المتشردين ، وخلف الكنيسة ربوة تعلوها غابة لغاء ، وكان الشرطى يرتدى خوذة وله لحية داكنة ، واما

المشردان فحول خاصرة كل منهما كيس ، وكان هتسك طريق يؤدي من الكنيسة الى قمة الربوة ، وهذا الطريق مخفوف بالنباتات التي أخذت في الكثافة الى ان صارت فوق قمة الربوة غابة لفاء

وسأشير هنا الى الرموز الجنسية ، فالسلم يعنى العمل الجنسى ، والرجال رمز للجهاز الجنسى عند الرجل ، والشرطى يمثل القضيب وله خوذة مدببة ، ولحيته السوداء هي الشـعر المحيط به ، والمشردان اللذان لا يؤديان عملا في الظاهر هما الخصيتان ، والضراة حول خصرهما هي كيس الخصية ، وأما الربوة التي فوقها الغابة فهي الجهاز الجنسى عند المرأة

٥ - رمز الرأس المقطوع

وهذا الرمز يعنى الخصاص .. وهذا حلم رآه طفل في منتصف العام الرابع من عمره كان أبوه غائبا عن الدار منذ مدة فنعم بصحبة أمه واستشاره بعنايتها ، وكان لا يستريح فيما يبدو لعودة أبيه ، فحلم أن أباه يحمل رأسه في طبق واستيقظ ملغورا ..

فهذا الحلم تحقيق رغبة من جانب الطفل ضد أبيه ..

٦ - رمز السلالم

والحلم الذي أستطيع أن أورده عن السلالم وما ترمز اليه من الاتصال الجنسى هو حلم أحد المرضى .. وكان ينفر من الجنس مشمئزاً ، بسبب مرض عصبى كان يشبت كل تخیلاته الجنسية على والدته ، وكثيرا ما كان يحلم بأنه يصعد السلالم معها ، وكنت قد نصحته بنوع معين من العلاج ، فحلم بأن معلم الموسيقى يوبخه على عدم إتقان السلم الموسيقى ..

وواضح أن السلم الموسيقى إنما هو نوع من السلالم
التي ترمز إلى الاتصال الجنسي ، وتويخ معلم الموسيقى
رمز لتوبيخى إياه على امتناعه التام عن الفعل الجنسي
بصورة مرضية ..

٧ - الأصحاء والرموز

ويعتقد بعض الكتاب ، ومنهم هافلوك اليسى ، أن
هذا النوع من الرموز لا يظهر إلا في أحلام المرضى بأمراض
عصبية .. أما الأسوياء فلا يعتد في أحلامهم بتلك
الرموز ، لأن هذه الموضوعات ليست عندهم محل كبت
أو منع

أما نحن فنعتقد أن الرمزية هي لغة الحلم عند المرضى
وعند الأصحاء ، وكل ما هناك أن استخدام المرضى
للرموز في أحلامهم أكثر وأشد ، أما الرموز في أحلام
الأصحاء فأوضح وأبسط ولذا يكون تفسيرها أسهل ..

والتدليل على ما أقول أروى حلم فتاة سليمة من
الأمراض العصبية ، ولكنها شديدة الحياء .. كنت أعلم
أنها مخطوبة ، ولكن بعض الحوائل قد تؤدي إلى تأجيل
زفافها .. واليكم الحلم :

— رأيتني أزين مركز إحدى الموائد بالورود بمناسبة
عيد ميلاد .. وشعرت أن الحفلة في بيتي ، وكنت سعيدة
وأنا أقوم بهذا العمل ..

واستطاعت الفتاة من تلقاء نفسها أن تدرك أن الحلم
في جملة رموز لرغبتها في الزواج .. فالمائدة الخافضة التي
في وسطها الأزهار ترمز إلى أعضائها الجنسية ، وسألته
عن نوع الورود التي كانت تزين بها المائدة فقالت بزرمة :

— أغلى الأنواع التي لا يحصل عليها الإنسان إلا بشمن

باهظ ، فهناك زنايق وبنفسج وزهور حمراء .. ا
وخطر لى على القور ان الزنايق تعنى بالمعنى الدارج
رموز الطهارة والعذرية ، وقولها عن الازهار أنها غالية
انما هو تحقيق لرغبة فى أن يقدر زوجها قيمة طهارتها
العذرية وأن يؤدى لها ما تستحقه من التقدير والتكريم
وأما البنفسج والقرنفل .. فيقتربان فى الدهن بمعان
جسدية تختلف عن طهارة الزنايق .. فكانها تجمع فى
لا شعورها بين الزهو بطهارتها والرغبة فى الاتصال
الجسدى ..

٨ - حلم « بسمارك »

وفى مذكرات « بسمارك » نطالع حلما له ، وآه أيام
الازمة النمساوية فى عام ١٨٦٣ وسسجله على النحو
التالى :

— رايتنى أركب جوادى فى درب ضيق من دروب
جبال الالب ، وسفح الجبل عن يسارى ، والهوة السحيقة
من يمينى .. والطريق تزداد وعورة وضيقا ، ثم ما ليث
الحصان أن امتنع عن السير ، وكان المسكان من الضيق
بحيث لم أستطع المضي فى السير ، ولم أستطع الرجوع
أدراجى .. ولم أستطع أيضا التراجع من الجواد ، وكان
سوطى فى يدى اليسرى ، فهويت به على الجبل وصخوره
الملساء .. وأنا ابتهل الى الله .. فاذا بالسوط يمتد الى
ما لا نهاية ، واذا الصخرة الملساء تتهاوى ، وكأنها منظر
مصنوع من الورق المقوى فوق خشبة مسرح ، وتنفسج
أمامى طريق واسعة من تحتها تلال وغابات على غرار
الناظر المعهودة فى بوهيميا ، وتراعت على البعد الفيالق
البروسية وينودها تخفق فوق رؤوسها ، فشعرت وأنا
فى الحلم بالفرح الشديد ، وفكرت أن أبشر به جلالة الملك

ثم استيقظت من حلمي منشرح النفس وقد قويت روحي
المعنوية ..

ومن الواضح أن المسلك الصعب الذي يبدو في الجزء
الأول من الحلم ، إنما هو إشارة إلى المأزق الذي كان
يشعر به « بسمارك » في تلك الفترة السياسية الحرجة ،
وليس بعيد أنه في تلك الليلة أطال التفكير في الموقف
قبل أن ينام ويظهر أن عزة نفسه لم تسمح له بالاستقالة
بسبب الأزمة ، وهذا ما عبر عنه الحلم بمعجزه عن التراجع
أو التراجع ..

أما بقية الحلم فواضح أنه تحقيق رغبة الخالم في انفراج
الأزمة بمعجزة ، وأن يرى الجيوش البروسية مظفرة
منفردة بالسلطان ..

وقوة « بسمارك » في أنه لم يكتف بتحقيق الرغبة في
الحلم ، بل فرض رغبته على عالم الواقع .. وجدير
بالذكر أن السوط الذي ضرب به الصخر شبيه بالعصا
التي ضرب بها موسى البحر ففلقه نصفين رمزاً للمعجزة



الفصل الخامس

أضفان أحمد • أحمد غير معقولة



اضغاث احلام

كل منا مرت به احلام غير معقولة .. ونحن في العادة لا ندقق في تاويل هذه الاحلام ، وتكتفى بأن تصفها اضغاث ولكننا في مثل هذا البحث عن مصادر الاحلام ، لا نستطيع أن نغفل هذا الجانب اغفالا تاما كما يصنع سواد الناس .. بل نرى حسب منهجنا أن هذه الاضغاث المزعومة لها افراض مثل سائر الاحلام رغم عدم معقوليتها ، وسأضرب امثلة لاحلام تبدو غير معقولة في الظاهر ، حتى اذا أمعنا النظر فيها وجدنا لها مغزى ، وسأضرب في البداية امثلة يبدو فيها الالب الميت منذ زمن وكأنه على قيد الحياة ..

وأول هذه الاحلام ، رآه مريض من مرضاي مات ابوه قبل تاريخ هذا الحلم بست سنوات كاملة :

— كان أبى مسافرا بقطار الليل ، فخرج القطار من القضبان .. وكان من أثر ذلك أن تهشم رأس والدى بين حطام المقاعد حتى صار كالقطيرة ، ورأيته بعد هذا مسجى في فراشه وفوق حاجبه الايسر جرح طولى .. ثم أعجب من أن يصاب أبى بهذه الكارثة لأنه كان قد مات من قبل ! وادهش لأن لون عينيه بدا فاتحا للغاية ! والذي يتبادر الى الذهن لأول وهلة أن الحالم كان قد نسى واقعة وفاة أبيه منذ سنوات طويلة ، ثم تذكر في أثناء الحلم تلك الحقيقة فدهش لها .. بيد أن هذا التعليل

لا جدوى منه ، وحقيقة الامر أن هذا الشخص كان قد كلف نحاسا أن يصنع تمثالا نصفيا لابييه منذ مدة ، وقبل الحلم بيومين ذهب الى « ورشة » النحات وشاهد مشروع التمثال ، وكان النحات يسترشد في صنع التمثال بالصور الشمسية لانه لم يكن رأى الفقييد في حياته قط ، وخيل الى الحالم أن تمثال والده قريب ما بين العارضين جدا ، كأنما قد ضغط بين قوتين متقابلتين .. ومن هنا حطم أن حطام المقاعد في القطار قد اطبق على رأس أبيه من جانبيه ، يضاف الى هذا انه كان من عادة ذلك الوالد ، اذا أضناه التفكير أو حزبه مشاغل الحياة ومازقها ، أن يضم جانبي رأسه بين كفيه ..

ويذكر الحالم أيضا أن مسدبنا انطلق خطأ ذات يوم في الحجرة التي بها أبوه ، فاسودت عينا الوالد بشدة .. وهذا هو ما قلبه الحلم على حسب منهج الابدال ، فصار لون عينيه فاتحا بدرجة تدعو للدهشة ..

وأما ما رآه في الحلم على صورة جرح رأسى فوق الحاجب الايسر ، فهو نوع من الابدال أيضا لخط مستعرض في جبهة أبيه - وفي ذلك الموضع بالذات - كلما استغرقه التفكير ، بيد أن الابدال في هذه المرة لم يكن حرا بل جاء نتيجة اندماج مع شرح رأسى أصاب زجاجة التصوير التي استعملها الحالم قبل يومين من الحلم لالتقاط صورة ابنته الصغيرة ، فظهر الشرخ في الصورة ، وكان الطفلة مصابة بجرح رأسى فوق حاجبها الايسر ، وقد تشاءم الحالم لانه قبل وفاة أمه بيومين سقطت من يده زجاجة صورتها السلبية فتحطمت

وهكذا تترد هذه المتناقضات « الحلمية » الى اشئنا من الذكريات لها ما يبررها من الاحداث السابقة على الحلم والذكريات البعيدة معا ..

وأضرب مثلا ثانيا من أحلامي شخصيا ، وكان والذي
قد مات قبله بسنوات :

... رأيت والذي بعد موته يقوم بالتوحيد بين طوائف
المجريين المتنازعين .. ثم تراءت لى صورة غير واضحة
لجمهور كبير من الناس كأنهم فى مجلس الرايخ محيطين
بشخص واقف فوق مقعد ، وعندئذ أتذكر أن أبى كان
لحظة موته يشبه الزعيم الايطالى « غاريبالدى » شبيها
كثيرا ، فيسرنى فى الحلم أن هذا الشبه قد صار حقيقة
واقعة ..

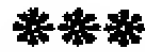
وقد رأيت هذا الحلم فى وقت اشتد فيه تناقض المجر
فيما بينهم .. وأما الصورة التى كانها لمجلس الرايخ
فاعتقد أنها إعادة لصورة تاريخية رأيتها فيما مضى ، وقد
احتلّ والذي بوقوفه فوق المقعد مكان الرئاسة ، وهذا
معقول بالنسبة لمن قام بتوحيد صفوف الأمة .. وأما
أن أبى لحظة موته كان يشبه « غاريبالدى » فحقيقة
واقعة أيضا ، وإذا كان هذا الشبه قد ظهر لنا عقب
موت أبى ... لا فى حياته ... فانه يضاهى قيام أبى بدور
الزعامة السياسية بعد أن مات ، وليس وهو على قيد
الحياة ..

ولكن لماذا اختار الحلم لوالذى بلاد المجر ميدانا
سياسيا لا ايطاليا مثلا مع أنه كان يشبه « غاريبالدى »
عقب وفاته ؟

وهنا يبرز التعليل الباطن أو الرابطة الكامنة وراء
أجزاء الحلم ، فقد كان أهم ما يشكو منه أبى هو شلل
المصارين .. ذلك الشلل الذى كان يعرقل عمليات الجسم
ويهدد الحياة ، وفى زمن الحلم ، كانت المجر على شفا
لأنهيار لان المناورات البرلمانية كانت تعرقل وتكاد تشل

الحياة السياسية .. فالجامع بين المجر ووالدى هو خطر
الشلل والتعويق في الحالتين ..

وأما الرغبة التي حققها الحلم ، فهي أن تكون ذكرى
الاب بعد وفاته ذكرى عاطرة تملأ النفس بالخشوع
والإجلال ، وبهذا الحلم يوجد الميرر لتشبيهه الوالد بالزميم
« غاريبالدى » ، ولا يكون الشبه بينهما مجرد صدفة
سطحية عارضة ..



وهناك ميرر لا يستهان به لظهور الاب في الحلم بعد
وفاته وكأنه على قيد الحياة .. وذلك أن نفوسنا مشغولة
دائما بأبائنا الراحلين ، وما أكثر المواقف التي يقول فيها
المرء :

— ماذا كان أبى حريا أن يقول في هذا الموضوع ؟
ولا يملك الحلم لترجمة هذه الامنية الممتنعة الا أن
يفترض أن الرغبة تحققت رغم أنف الحقيقة الضخمة وهو
موت ذلك الوالد منذ زمن ، فيجعل الوالد يتصرف كما
لو كان حيا لم يفيبه الثرى ..



وهناك نوع آخر من الاحلام ، يرى فيه الحالم ذويه
الراحلين .. وكأنهم على قيد الحياة ، وفي جزء من الحلم
يبدو أنهم رغم وجودهم على قيد الحياة في عداد الموتى
مما يجعل الحلم غير معقول ، ولكنه في الحالين يعبر عن
تحقيق رغبة الحالم ..

وأعرف شخصا رجلا أفرط في عنايته بأبيه في مرضه
الآخر ، وحزن لوفاته حزنا شديدا .. وبعد وفاة أبيه
بعدة طويلة روى لى هذا الحلم :

— رأيت أبى وكأنه على قيد الحياة يكلمنى مثلما كان

يفعل في حياته .. ولكنى كنت أعلم وأنا أعلم أنه ميت،
أما هو فلم يكن يدري ذلك !

وتفسير هذا الحلم المتناقض أن الحالم أثناء قيامه
بتمريض أبيه تمنى له وهو لا يدري أن يموت كي لا يطول
عذابه بغير طائل .. فلما حقق الواقع هذه الأمنية
اللاشعورية ، ثار في النفس في مقابلتها ندم لا شعوري
أيضا .. كأنما هذه الأمنية قد عجلت حقا بموت الأب ،
وهكذا ظهر الأب في الحلم وكأنه لم يموت أرضاء لرغبة الندم
وعزاء عنها ، وكان في الوقت نفسه ميتا من غير أن يعلم
ذلك وكان ذلك تحقيقا للأمنية اللاشعورية !

وأنا أعترف أن الأحلام التي يظهر فيها من يحبهم الحالم
من الأموات وكأنهم على قيد الحياة ، إنما هي أحلام
عسيرة ليس من السهل تفسيرها تفسيراً واضحاً مقنعاً
في جميع الأحوال .. والذنب في ذلك ليس ذنب منهج
التفسير العلمي بل مرجعه إلى ما في علاقة الحالم بهؤلاء
الأشخاص من تناقض ، وأني لأقر أن منهجى في تفسير
الأحلام لم يتمكن من تذليل جميع العقبات وحل الالغاز
الكثيرة التي تحفل بها مثل هذه الأحلام المعقدة



وسأروى الآن حلماً من أحلامي الشخصية استطعت
أن أضبط فيه مصادر الخلط التي جعلته غير معقول ..
وهذا الحلم جاء عقب رؤيتي للكونت تون - عند
قيامى بالأجازة الصيفية - وقد رأيتنى راكباً عرباً من
عربات الخيل ، وأمر الخوذي أن يذهب بى إلى المحطة ،
وشعرت في الحلم أن الخوذي يبدي ممانعة ، وكأنه يحتج
لأنى أزعجته ، فأقول له :
- أنا طبعاً ليس فى وسعى أن أركب معك فى عربتك
كل مسافة القطار !

واللهش اننى ما أن قلت له هـلدا فى الحلم حتى
احسست وكأنى ركبت عربته بالفعل نفس المسافة التى
يقطعها القطار !
وأبدأ بالظروف التى احسائط بى فى اليوم السابق
للحلم ..

ركبت عربة أجرة كى اتوجه الى شارع بعيد بالضواحي
.. وكان الحوذى يجهل موقع ذلك الشارع بالضبط ،
ولكنه لم ينبهنى الى ذلك ، بل فعل ما يفعله أهل هذه
الطائفة دائما ، افترض اننى أجهل المكان وراح يضرب
على غير هدى ، ولكنى فطنت الى ما فعل بعد حين ،
فارشدته الى الطريق الذى ينبغى أن يسلكه ، واتحفته
بكلمات توبيخ لازمة ، وهنا أحب أن أنبه القارئ الى أن
الحوذى يرتبطون فى ذهنى بنوع من الارتباط الخاص
بطبقة النبلاء ، لأن نبلاء النمسا مغرمون بقيادة العربات
بأنفسهم .. وكان الكونت تون هو حوذى عربة الدولة
والعجيب أن الحوذى فى الحلم لم يكن يمثل الكونت تون ،
بل كان يمثل شقيقى ، والمناسبة التى دمت الى ذلك
أننى كنت قد اعتزمت فى هذه السنة أن أقوم معه برحلة
لايطاليا التى أحبها جدا ، بيد أنى ألغيت هذه الرحلة
تويخا لأخى اذ بلغنى تضرره من سفرى معه لانى أزعجه
بالتنقل السريع من بلد الى بلد ، ونهمنى الى مشاهدة
آلاف الاشياء الجميلة فى أقصر وقت

وفى المساء الذى رأيت فيه الحلم ، ركبت أخى معى عربة
الى محطة السكة الحديد .. ولكن قبل أن تصل العربة
الى المحطة الرئيسية ، قفز أخى منها الى محطة خطوط
الضواحي ليذهب الى ضاحية « بوركسدورف » مع أنه
كان فى استطاعته أن يذهب اليها بالخط الرئيسى ، وبذلك
يبقى معى مدة أطول ، وهذا هو مصدر ما رأيته فى الحلم ،

وكانى ركبت العربية نفس المسافة التى يقطعها القطار ،
وكل ما هناك أن الحلم استخدم الضد أى عكس ما حدث
فعلا ، وهذا العكس ترتب عليه أن يستخدم الحلم العربية
بدلا من القطار ، وأن يحل الخوذى محل أخى . . ومن هنا
بدا الحلم غير معقول



وسأذكر الآن حلما غير معقول كذلك محوره أبى المتوفى:
— رأيت أنى تسلمت من بلدية مسقط رأسى اخطارا
تطالبنى فيه بسداد مبلغ معين ، بدعوى أنه فى عام ١٨٥١
أصيب شخص باغماء وهو فى بيتى ، ونقل الى المستشفى
حيث استبقوه هناك وانفقوا على علاجه ، وما أن أقرأ فى
الحلم هذا التبليغ أو الانذار حتى انفجر ضاحكا لانى لم
أكن ولدت فى عام ١٨٥١ المزعومة ، وبفرض أن هذا
الانذار موجه الى أبى ، فأبى قد مات منذ زمن ، ورغم
علمى بذلك أذهب وأنا فى الحلم الى الحجرة الأخرى حيث
أجد أبى فى فراشه واستوضحه المسألة ، وكم كان عجبى
أذ يقر أبى أنه أفرط فى الشراب ذات مرة عام ١٨٥١ مما
أدى الى القائه فى الحبس ، وكان وقتئذ يعمل لحساب
شركة كذا ، فأسأله مستنكرا : وهل كنت مدمنا على
السكر أيضا ؟ وهل مع ذلك تزوجت فيما بعد ؟ . . ثم
أقوم وأنا فى الحلم بحسبة أعرف منها أننى ولدت عام
١٨٥٦ ، ولكن يخيّل الى فى الحلم أن هذا العام هو التالى
مباشرة لعام ١٨٥١

والدهش فى هذا الحلم أن المشهد الاساسى منه عبارة
عن مشادة حامية سافرة بينى وبين أبى ، وأنى لم اتورع
عن صب التجريح اللاذع عليه ، ولا تكاد ندرى كيف يمكن
لمثل هذا العمل — لو أنه كان صادرا عن رغبة لا شعورية —

أن يمر بهذا الوضوح الصريح بين سمع الرقابة الشعورية
وبصرها ..

يبد أن هذه الحيرة تتبدد سريعا اذا فطنا الى أن الوالد
المتوفى ليس في هذا الحلم إلا يستارا لشخص آخر ، وأن
هذه المشادة إنما تحدث في الحلم بيني وبين ذلك الشخص
الأخر في الحقيقة .. فكأن الحلم في هذه المرة قام بعملية
قلب أو ابدال غريبة .. إذ أن الحلم حين يخرج الابن عن
الاحتشام نحو الوالد ، يدع شخصا آخر يقوم بالحلول
محله ارضاء لمقتضيات الرقابة ، أما في هذا الحلم بالذات ،
فقد كان الأب مجرد قناع تختفي وراءه الشخصية
الحقيقية لمن أصيب عليه سخريتي ، ولا أشعر في الحلم بأى
تأنيب أو حرج لأن الشخص الحقيقي الذي أهاجمه
وأجرحه ليس هو أبى بل الشخصية المختفية من وراءه
ومناسبة هذا الحلم اننى كنت قد سمعت ، قبسـله
مباشرة ، أن أستاذا من أكبر الزملاء مقاما ويعتبر حجة
وحكما في الوسط العلمى قد صارع الناس باستنكاره
لانى ظلت أمالج مريضا من مرضاى بالتحليل النفسى
على مدى خمس سنوات ..

ووجه الشبه بين هذا الاستاذ الزميل الكبير وأبى ، أنه
كان يقوم بالنسبة لى ببعض ما صار أبى عاجزا عن القيام
به نحوى من المسؤوليات بسبب موته .. فلما بلغنى منه
أنه يهاجمنى فى المجالس نشب فى داخلى صراع انفعالى
كالذى ينشأ عادة فى سريرة الابن حين تضطرب علاقته
بأبيه

وأما مطالبتي بما لا يعقل أن أطالب به من الفرامة لانى
لم أكن ولدت فى تاريخ استحقاقها ، فهو كناية عن
احتجاجى على ذلك الزميل لأنه يلومنى على ما لم يكن
فى وسعى أن اتفاداه .. فما ذنبى اذا كانت حالة المريض

لم تسمح لى بعلاجه فى مدة اقل من هذا ؟ وهل توجد
طريقة اخرى لعلاج مثل هذه الحالة فى مدة اسرع ؟ ..
ان الزميل الكبير يعرف كل هذا ، فليس من المعقول
ان يلومنى عليه لوما لا استحقه ، كما اننى لا استحق
الغرامة التى لم اكن ولدت حين توقيعها !

و اما ذهابى الى الغرفة الثانية ، فدليل آخر على ان
ابى الميت كان قناعا لذلك الشخص الحى ، وان ذهابى
اليه فى الحلم كانه صيغة توبيخ لذلك الزميل الكبير اذ
يقارن موقفه منى بموقف ابى منى حين ذهبت اليه فى
حجرته بالبيت ، واخبرته بنبا خطبتى لزوجتى من غير ان
استاذنه سلفا ، رغم ما كان ابى يتمتع به فى الاسرة من
سلطان ابوى مطلق ومهابة على الطراز القديم .. فقد
اظهر ابى فى تلك المناسبة سماحة لن انساها

وكانى بهذا اقدار فى الحلم بين سماحة ابى واغضائه
عن تناسى مكانته وحقوقه ، وبين مسلك من حل محل
ابى اذا هاجمنى من غير وجه حق

و اما سبب توبيخى فى الحلم لابى ، وتعميرى اياه بالسكر ،
فينصرف ايضا الى الشخص الحقيقى الذى كان يمثل ابى
فى الحلم .. فان هذا الشخص كان قد اعترف لى بانه فى
صدر شبابه كان قد ادمن نوعا من المخدرات الطبية حتى
ساعت صحته وهولج فترة طويلة فى احدى المصحات

وعلى هذا الاساس ، يكون تعميرى موجهها الى ذلك
الاستاذ العظيم وهو الدكتور ماينيرت ، بان من كان مثله
قدوة لرجال العلم ينبغى الا يلوم الناس على هفواتهم ،
وفى صفحاته مثل تلك السقطات المخجلة !

و اما اعتقادى فى الحلم ان عام ١٨٥٦ هو التالى مباشرة
لعام ١٨٥١ فهو ترجمة مباشرة لقولى ان مدة الخمسة

اعوام التي طالها العسل لا ليست بذات قيمة ، وانها
لا تساوى أكثر من عام واحد في الواقع لان الذنب ليس
ذنبى بل ان ظروف الحالة هي التي أوجبت ذلك
وأزيد الامر وضوحا ، فأقول ان لمدة الخمسة اعوام
علاقة أخرى لشعورى .. غير موضوع تشهير العلامة
ماثيرت بي ، فتلك الفترة نفسها هي التي ظلمت أو جل
فيها زواجى ، وجعلت خطيبتى تنتظر اتمام الزواج كل
تلك المدة .. فانا في الحظ ايضا أهون على نفسى هذا
الارجاء !



احلام غير معقولة

وقد تتخذ الاحلام غير المعقولة علم الحساب ، وما فيه من ارقام ، مادة لاضفائها .. ولذا سأروى حلما من احلامي شخصا كنموذج لتلك الطائفة :

- حلمت ان صاحباً لى هو « م » نشرت احدى الصحف مقالا ضده اعتقدنا كلنا انه تجاوز كل حد ، وكان صاحب المقال هو الشاعر العظيم « جوته » بقضه وقضيضه ، وتاذى « م » كل التاذى من المقال ، وجار منه بالشكوى الى الحاضرين فى احدى اللواتم ، ولكنه لم يسمح لهذه المسألة الشخصية ان تقلل من تقديره لجوته .. واحاول وانا فى الحلم ان اراجع التواريخ ، فاذكر ان « جوته » مات عام ١٨٣٢ ، فلا بد ان يكون مقاله ضد « م » سابقا على هذا العام ، وبالتالي يكون « م » وقتئذ فى مطلع شبابه ، ويخيل الى انه غالبا كان فى الثامنة عشرة ، واشعر اننى غير متأكد فى اى عام نحن الآن ، ويؤثر ذلك على حسابى ويكتنفه الغموض .. ولسكنه أدرك ان هجوم « جوته » على صاحبى جاء فى غضون مقال « جوته » المشهور عن الطبيعة ..

وهذا ولا شك حلم بالغ الغاية من السفاهة التى يبدو من المستحيل العثور على تبرير لها .. ولسكنى سأذكر الآن ما يكتنف الحلم من ذكرياتى ..

أما « م » فقد تعرفت به لأول مرة وسط مجموعة من الرفاق المدعوين الى وليمة ما ، ومنذ امد قصير

طلب منى أن أفحص شقيقا له يعتقد أنه يعاني من أمراض اضطراب عقلى معين ، وثبت أن «م» لم يجانب الصواب فى حديثه عندما اتانى بأخيه فى عيادتي وفحصته ..

وفى غضون هذه الزيارة الاولى اتى المريض شيئا سخيفا ، فقد أخرج أخاه من غير مبرر بأن فضح جانباً من سفاهات صباه .. !

وفى هذه الزيارة أيضا ، سألت المريض فيما سألته من عام مولده ، وكان من اجراءات الفحص أن يقوم بعمليات جمع صغيرة كى أعرف الى أى مدى يصل به ضعف الذاكرة ، فاذا به يقوم بتلك العمليات على خير وجه

ولعل الحلم يشير الى هذه الوسيلة من وسائل الامتحان ، اذ قمت أنا فى الحلم بما كنت اتوقعه من المريض شقيق «م» فلم أعرف بالضبط فى أى عام نحن ..

اما المقال الهجومى فهو يشير الى مسألة أخرى وقعت منذ زمن وجيز .. فلى صديق يصدر مجلة طبية ، وقد نشر فى تلك المجلة هجوما عنيفا تجاوز كل الحدود المعقولة ضد كتاب لصديقى المحترم «ف» ، وكاتب المقال شاب صغير السن جداً وقدرته على التمييز محدودة ، فوجدت من واجبى أن أتدخل .. فناقشت صاحب المجلة معتمدا على ما بيننا من صداقة ، فأبدى أسفه الشديد لإقدامه على نشر ذلك المقال .. ولكنه لم يفعل شيئا لتصحيح الوضع فحررت اليه خطاب استقالة من تحرير قسم من مجلته ، وأعربت له فى ذلك الخطاب من ابقائى على مودتنا الشخصية

وواضح ان هذا هو ما يشير اليه الجزء من الحلم الخاص بنقد «جوته» لصديقى «م» .. ولكن الاوضاع فيه مقلوبة كما هو معهود فى كثير من الاحلام ، فالمهاجم الناقد

عظيم القدر كبير السن ، والمنقود شاب في حداثة العمر ،
ورغم عنف الهجوم بقيت العواطف الشخصية بمنجاة من
التأثر بها ..

ولسكن ما الذى أثار موضوع « الطبيعة » في الحلم ؟ ..
منذ عهد غير بعيد كانت إحدى مريضاتي تصف حالة
أخيها الذى كان مصابا أيضا بعرض عصبى ، وأخبرت
تقلى صياحه أثناء النوبة :

— أيتها الطبيعة ! .. أيتها الطبيعة ! ..

وظن الحاضرون أن هذه الصيحة صدى لمطالبات
المريض في أدب « جوته » ومقاله المشهور عن الطبيعة ..
أما أنا فقلب على ظنى أن المريض يقصد معنى جنسيا
يرتبط بالمغزى الدارج لكلمة الطبيعة على السنة
العوام .. ثم صدقت الحوادث ظنى بعد ذلك ، عندما
عمد الشاب المسكين فى إحدى نوباته التالية الى استئصال
أعضائه التناسلية ، وكانت سنة فى ذلك الوقت لا تزيد
عن ثمانى عشرة سنة !

وسن الثانية عشرة هو نفس السن الذى عزاه الحلم
الى صديقى « م » عندما حطمه « جوته » بهجومه
الساحق ..

وواضح أيضا أن الحلم يسلك مسلك التهكم الشديد
عن طريق قلب الأوضاع ، فهو يفترض شيئا سخيفا
وغير معقول .. وأعنى به مهاجمة « جوته » العظيم
لشاب لم يتجاوز سن الغلمان ، فلا بد أن يكون أشد من
ذلك هنرا ومدعاة للاستنكار أن يهاجم شاب فى عمر
الغلمان شيخا جليلا من الخالدين مثل « جوته » الذى
يقوم فى الحلم مقام صديقى المؤلف « ف »

وأذكر أيضا حلما من الأحلام غير المعقولة التى تراءت

لى ، ترى فيه استخداما للصيغ اللفظية لا يسيغه الفهم
لاول وهلة :

— رايت انه جرت في مدينة روما أمور تحتم بسببها
ترحيل الأطفال الى موضع مأمون ، وقد تم ذلك فعلاً .
والمنظر امام مدخل المدينة — وهو ذو مصراعين على
الطراز العتيق — وقد أدركت وانا في الحلم أن ذلك الباب
هو الذى يوجد حقيقة في مدينة سيينا مع أن المشهد
في روما ، وأجد نافورة من النافورات المنتشرة في ايطاليا،
فاجلس على حافتها واجما تكاد تسيل دموعى ، وتقبل
أنثى لعلها راهبة أو مربية ، ومعها طفلان تعطيهما الى
والدهما الذى كان بالقرب منى . . ولكن اكبرهما هو
ابنى البكر بلا شك ، أما الولد الآخر فلا اتبين وجهه ،
وتطلب منه التى جاءت به أن يمنحها قبلة وداع ، فأتبين
أن انفها احمر اللون بصورة واضحة ، ويرفض الطفل
أن يقبلها . . بيد انه يشد على يدها مودعا يقول لها كلمة
غريبة ليس لها معنى لغوى ، ثم يلتفت نحوى ، انا
والرجل الآخر ، ويقول كلمة قريبة منها فى اللفظ ، وليس
لها أيضا معنى ولكن يخطر ببالى وانا فى الحلم أن هسلده
السكلمة الاخيرة تعنى أنه يفضلنا عليها

والآن لابد من التمهيد لهذا الحلم بالذكريات التى
حدثت قبله ، فقد شهدت مسرحية أثارت مناظرها بعض
أجزاء هذا الحلم ، وواضح أيضا أن متاعب اليهود لها
صلة بالافكار المنبثقة فى طبائمه ، فاليهودى فى المانيا والنمسا
وما اليهما من البلدان يشعر بالهم لانه لا يضمن لابنائهم
وطنا مستقرا ، ولا يعرف كيف يوفر لهم نوعا مناسباً من
التعليم يسهل لهم الحياة عندما تضطرهم الظروف
للرحيل من بلد الى آخر فجأة

ومدينة سيينا مشهورة بنافوراتها البديعة مثل روما،

ولما لم أكن قد رأيت روما عندئذ من قبل ، فلم يكن بد من أن أستدل عليها في الحلم بمنظر رأيته من قبل وهو مدخل مدينة سيينا ، وبالقرب من هذا الموضع كنت قد رأيت في رحلتى بناء كبيرا علمت أنه مصحة أمراض عقلية ، وقبيل الحلم بلغنى أن أحد أبناء ديانتى اضطر للاستقالة من المنصب الكبير الذى كان يحتله من جدارة فى مصحة كبيرة للأمراض العقلية

وأما الجلوس على النافورة والتهيؤ للبكاء ، فمشهد مستمد من الزمور الذى يصف نفى إسرائيل الى أرض بابل ويقول : على أنهار بابل هناك اجلسنا وبكىنا عندما تذكرنا صهيون ..

وأما الكلمتان اللتان قالهما الطفل فى الحلم قريبتان من كلمة التحية الألمانية المألوفة « الى الملتقى » .. ولكن جرسها اللفظى مستمد من أصل عبرى قديم معناه الفجيرة ، وأما الكلمة الأخرى التى تفيض التفضيل وليس لها معنى لغوى أصلى ، فلعلها إشارة الى العجين غير المختمر الذى يفضل استخدامه اليهود فوراء هذا الحشيش من التخبط فى الحلم ألوان من التيارات النفسية والاهتمامات التى تشغل السريرة .. قلو عرفنا كيف نتمعقها لوصلنا الى كثير من الدراية النافعة ببواطن أحوالنا ، وكأن الحلم حين يتظاهر بالتخبط والجنون يسلك مسلك الأمير العظيم « هملت » حين اتخذ من الجنون قناعا ليلقى بتأملاته الحكيمة التى لا يبتذلها من لا يدققون فى معرفتها .. !

لا يمكن أن يحتوى حلم الإنسان سوى على الخصوص على هراء غير معقول ، ولكن الهراء يخفى تحته — من قصد — سخرية لازمة أو تبكيثا .. وكأنه يصصف

بالتخطيط ومجاورة العقل والمنطق من يشير اليهم من
الأشخاص والأحداث

ومن الواجب عندما يروى الإنسان في حال اليقظة
حلماً ، من النوع غير المعقول ، أن يدخل في حسابه
ما يستثيره تذكر أجزاء الحلم من تعليقات ومشاعر ، فإن
هذه تعتبر الى حد كبير عنصراً من عناصر المضمون الخفى
للحلم ، وينبغي أن يكون لها شأن مذكور في تأويله ..



واتماما للفائدة سأذكر نماذج تعين على توضيح
الفكرة ..

قالت إحدى السيدات أنها لا تستطيع أن تتذكر
حلمها لأنه ليس واضحاً لها الآن كما يجب ، فكل ما تعرفه
أنها رأت في الحلم شخصاً ليست واثقة هل هو زوجها أم
والدها .. ثم رأت في الحلم منظراً ثانياً جاء فيه شيء عن
آنية السماد

ولما سألتها عما يشير ذكر السماد لديها من الخواطر،
قالت :

- في الفترة الأولى من زواجي لم أكن متمرسية
بأعمال البيت ، فقلت على سبيل المزاح أمام قريبة لي :
أن أول ما سأفعله هو شراء وعاء سماد جديد للبيت ..
وإذا بهذه القريبسة تفاجئني في اليوم التالي بأهدائي
صندوقاً للسماد مليء بالازهار الجميلة

وهذا الجزء من الحلم ليس منقطع الصلة بتعبير الماتني
شعبي معناه التنصل من التبعة أو التبرؤ من النسب ،
وفي نهاية تحليل حلم هذه السيدة ، اكتشفت أن مضمونه
يتصل برواية سردت على مسامعها وهي صغيرة عن
شبابة وضعت طفلاً لم يعرف أحد من عسى يكون أبوه

وهكذا يخفى الحلم الطموس الذى طمرته الذاكرة عند
اليقظة صلة قد لا يجد الحالم فى حال يقظته ما يفريه
باستعادته



ومن هذا القبيل أيضا حلم رآه أحد مرضاى ، واعتقد
انه شديد الاهمية فى علاجه التحليلى ، فقرر ان يذكره
لى بهذا فيره ، وقمت بتحليل الحلم فاذا به يفضح بصورة
جلية علاقة جنسية عقدها الحالم فى فترة العلاج ، وكان
متشددا فى كتمانها عني .. فقام هذا الحلم بارغامه على
الاعتراف وهو لا يدري !



ونموذج ثالث كنت انا الذى رايت فى احلامي :
— رايتنى متوجها الى المستشفى مع صديقى « ب »
مخترقين حيا تكثر فيه الحدائق والمنازل المتباعدة ، وخطر
لى وانا احلم انى رايت هذا المشهد مرارا فى احلام سابقة ،
ولم اتبين الطريق الذى نسلكه .. فارانى رفيقى « ب »
شارعا يودى الى مطعم يقع على ناصيته ، وقاعة الطعام
داخل الجدران لا فى الحديقة ، وسالت هناك عن السيدة
« د » فقالوا لى انها تقيم فى حجرة خلفية صغيرة مع
ثلاثة اطفال ، فاتجهت الى هناك .. ولكنى قبل ان
اصل الى الحجرة قابضت شخصا لم اتبين ملامحه ، وفى
رفقته طفلان الصغيران ، وصحبتهم بعد ان جلست
معهما فترة ، ودار بدهنى السخط على زوجتى لانها
تركت البنيتين فى ذلك المكان ..

واول ما خامرنى عند اليقظة هو السرور العظيم لاننى
بهذا الحلم سامرف بطريق مباشرة المعنى لتذكر الحالم انه
راى حلما سابقا مماثلا ..

هكذا ظننت في البداية ثم عرفت ان سرورى لم يكن لهذا السبب بل للمضمون الخفى الذى يكمن وراء الحلم ، وهو اننى انجبت اطفالا .. فرفيقى « ب » الذى رآته يصحبنى فى الحلم كان ندا لى فى الطفولة والشباب فعلا ، ويمائلى فى كل ظروفى ، ثم سبقنى اشواطا فى الناحيتين المادية والاجتماعية ، وتفوق على فى كل شيء الا انه لم يرزق من زواجه باطفال ..

واضيف الى ذلك اننى فى اليوم السابق على الحلم ، قرأت فى الصحف نعى السيدة « د » التى حلت انى اسأل عنها ، وكانت وفاتها اثناء الوضع ، وعلقت زوجتى على ذلك بأن القابضة التى ماتت على يدها السيدة « د » هى بيمينها التى تولت توليد زوجتى أصغر طفلينا



واتناول الآن حلما من أحلامي تميز بشعور العجب الذى خامرني في بدايته :

— ارى وكان « بروكيه » قد كلفنى بمهمة ما .. ومن عجب ان هذه المهمة تتعلق بتجهيز الجزء الاسفل من جسمى شخصا ، بما فى ذلك الحوض والساقين ، وارى هذه الاعضاء امامى ، وكأنها على مائدة حجرة التشريح ، ولكنى لا اشعر بنقصان هذه الاعضاء من جسمى ، ولا يداخلنى أى اثر من الارتياح .. وكانت لويز واقفة بجوارى وتساعدنى فى ذلك العمل . وانتهى من تفريغ الحوض ويبدو الجزء الاعلى ثم الجزء الاسفل واضحين للعيان ، ولكن المستطين يتداخلان ، وتبدو زوائد لحمية كبيرة حمراء تلمونى وأنا فى الحلم الى التفكير فى البواسير ، ثم يتحتم رفع شيء بدا وكأنه بقطيها ، وهذا الشيء أشبه بورق مفضض مجعد ومتكسر يحتاج رفعه الى حذر ، ثم

استرددت ساقى ثانية ، وخرجت أتجول فى شوارع
المدينة ، ولما شعرت بالتعب ركبت عربة .. وكم كانت
دهشتى حين وجدت العربة توصلنى الى الباب الامامى
للمنزل ، وانفتح الباب وسمح للعربة بالمرور فى دهليز
أفضى فى نهايته الى أرض خلاء ، وأخيرا تجولت بين مشاهد
متغيرة ، ومعى مرشد من مرشدى جبال الالب .. كان
يحمل حقائبى ، ثم حملنى شخصيا مسافة ما مراعاة لما
أصاب ساقى من تعب ، وكانت الأرض كثيرة الوحل ،
فسرنا عند حافة الطريق .. وكان هناك قوم جالسين
على الأرض يشبهون الهنود الحمر أو الفجر ، ومن بينهم
فتاة .. وحتى ذلك الوقت كنت أسير فوق الأرض
الموحلة ، وأنا فى دهشة متواصلة لقدرتى على ذلك السير
بعد قيامى بالتشريح ، وأخيرا وصلنا الى بيت خشبى
صغير فى أحد طرفيه نافذة مفتوحة ، وهناك أنزلنى
المرشد الى الأرض ، ثم وضع لوحين من الخشب كانا
معدين هناك من قبل ، وجعل طرفيهما على حافة النافذة
كانه يقيم قنطرة يعبر فوقها الهاوية من يريد الخروج
من النافذة .. وعندئذ شعرت بفزع حقيقى بخصوص
ساقى ، ولكن بدلا من العبور ، رأيت رجلين بالفين
يرقدان على مقعدين خشبيين مثبتين على جدار الكوخ ..
وبجوارهما ما بدا لى كأنه طفلان نائمان ، وكان الذى
سيجعل العبور ممكنا ليس هما اللوحان الخشبيان بل
الطفلان ، وعندئذ استيقظت وأنا فى حالة ارتياح ..

وإذا راعينا مدى ما فى الأحلام من كثافة ، استطعنا
أن نتصور مدى ما يقتضيه تحليل هذا الحلم تحليلا
تفصيليا من عناء وتطويل ، ولكنى لن أعرض هنا الا
لنقطة واحدة هى نقطة شعورى بالعجب أثناء الحلم ..
والمناسبة التى انارت الحلم هى زيارة من لوزير التى

رايتها بجانبى فى الحلم تساعدنى على العمل ، وفى هذه
الزيارة طلبت منى أن أعطيها كتابا تقرأه ، فزكيت لها
كتاب « هى أو عائشة » للروائى الانجليزى ســـــــــــــــــيم
« رايدر هجارد » وقلت فى أسباب تزكيتى لهذا الكتاب :
— انه كتاب « مدهش » وفيه معان خفية كثيرة عن
الانوثة وتجدها ، وعن احساساتنا وابديتها ..

ومندئذ قاطعتنى لويز قائلة :

— أعرف هذا الكتاب .. أريد شيئا غيره

— مثل ماذا ؟ ..

— شيئا من تأليفك مثلا ..

فأجبتها ضاحكا :

— كتيبى التى يمكن أن توصف بالخلود لم تطبع بعد
فأجبتنى متهمكة :

— متى تظهر تبسيطاتك التى وعدت أن تكون فى
متناول فهم القارئ العادى ، حتى ولو كان من مستوانا ؟
وعندئذ لاحظت أنها تقول ذلك الكلام ، وكأنما قد
أوصاها شخص آخر أن تقوله لى .. فلزمت الصمت ،
واتجه تفكرى الى الثمن القادح الذى سادفعه لو أننى
نشرت صفحات كتابى ههنا عن تفسير الأحلام ، لما
سيترتب على ذلك حتما من كشف الستار عن أسرار
كثيرة تتصل بحياتى الخاصة ومزاجى الشخصى وتكوينى
النفسى ، وتذكرت على الفور تلك العبارة الشعرية البليغة
التي وردت فى الجزء الاول من « فاوست » على لسان
الشیطان .. اذ يقول للدكتور فاوست :

— خير ما يصل اليه علمك من حقائق الامور ان تجد
مناصا من كتمانك فى صدرك لانك لا تجسر ان تفضى بسر
لتلاميذك

ومن هنا نذكر ان مشهد تشریح الجزء الأسفل من

جسمى شخصيا انما هو كناية عن تحليلي لخفايا نفسي
تحليلا لا بد منه وانا اعالج تفسير احلامي الشخصية ..
ولكن ما الذي جاء هنا بالعجوز بروكيه ؟ ..

ان « بروكيه » هنا يأتي في موضعه الصحيح ، لانني
في مستهل حياتي العلمية اكتشفت مسألة دقيقة .. ثم
تركت هذا الاكتشاف مهملا الى ان عرف الشيخ
« بروكيه » بأمره فويخني وارغمني على نشره ارغاما ،
وها هو ذا يأتي في الحلم ليقوم بالدور نفسه ، دور الحث
والالزام بنشر مكتشفاتي في تفسير الاحلام ..

واما قولي في اليقظة للوزير عن رواية « عائشة » انها
مدهشة ، فهو مقترن أيضا بما في الحلم من مناظر الوحل
والهتود الخمر والجسور المقامة فوق الهاوية والبيسوت
الخشبية .. وهي مناظر يكثر « رايدر هجارد » من
استخدامها في مفامراته ..

والمجهول والمستحيل الذي يتحدث عنه « رايدر هجارد »
والمناطق التي لم تظاها قدم انسان متحضر من قبل ،
والاهوال والمصاعب ، كل ذلك في روايات « رايدر هجارد »
.. ولكنه أيضا ترجمة صادقة لعالم الاحلام التي لم
ينفذ اليها منهج علمي من قبل ، والتي احاول بالمغامرة
والعناء الشديد ان اصل اليها ..

والبيت الخشبي رمز للقبر .. اما الاطفال المعلقون
بالجدران وكانهم أداة العبور فوق الهاوية للخروج من
البيت ذي المنفذ الواحد ، فهم رمز لما يخامر الانسان من
امل في ان يصل الاعقاب من الابناء والاحفاد الى النجاح
الذي يحول دونه الاجل

وهناك أيضا حلم انتخبه من بين احلامي الشخصية لما

اقترن به أثناء حسدوته من العجب ، بل ومن محاولات للتأويل ، بعيدة المدى ، غريبة الوقع ، لا تخلو من ذكاء وفطنة ..

وقد رأيت هذا الحلم وأنا نائم في القطار ذات ليلة وكأنتي أسمع من ينادى : « هولتورن » .. سيقف القطار عشر دقائق :

وفي أثناء الحلم ، اتجه تفكيري فورا الى « هولتورن » ، ثم الى متحف للتاريخ الطبيعى ، ثم الى الثورة التى نشبت هناك من الاهالى الشجعان ضد حاكم طاغية .. ولم يبالوا بتفوق جيوشه ، وان كانوا لم يظفروا بالنصر ، ان هذه هى الحركة الرجعية فى النمسا .. وكان هذا الموضع من اقاليم التيرول ، واجد امامى متحفا صغيرا فيه ما تبقى من آثار أولئك الرجال الشجعان .. ولكنى لا اراها بوضوح ، وأتمنى لو نزلت من القطار ، ولكنى أحجم وأتردد ، وأرى على افريز المحطة نساء يحطن الفاكهة ، مغميات على الارض ، وفي ايديهن السلال بصورة لطيفة ، وأتردد فى النزول لانى لست متأكدا من ان الوقت يسمح بذلك .. بيد ان القطار لا يتحرك ، وأجدنى فجأة فى ديوان آخر بالقطمار وقد تقاربت المقاعد جدا بحيث يلتصق ظهري بنهاية العربة ، ويدهشنى هذا .. وأحس كأني ذهبت الى عربة أخرى اجد فيها اشخاصا كثيرين ، منهم اخ وأخت انجليزيان ، وعلى الرف كتب يراها الناظر بوضوح ، ومن بينها « ثروة الامم والمادة والحركة » لكلاارك مكسويل ، وهو كتاب ضخيم غلافه من قماش بنى اللون ، ويسأل الانجليزى أخته : هل نسيت كتاب شيلر ؟ وأشعر ان السكتب التى امامى هى تارة كتبهما ، وتارة كتبى انا ، وأجد دافعا للتدخل فى حديثهما لأؤكد شيئا .. ولكنى أستيقظ عندئذ وقد تصببت عرقا ،

وادرِك ان النوافذ كلها كانت مغلقة ، وان القطار واقف
في محطة « ماربورج »

واخذت ادون الحلم على الفور ، وعندئذ تذكرت فقرة
كنت قد غفلت عنها ، وهى :

— قلت بالانجليزية للاخوين الانجليزين ، وانا اشير
الى احد الكتب : انه من ... ثم صححت التعبير قائلا :
انه بقلم ... فقال الرجل لاخته : ها هو قالها من غير ان
يخطئ ..

وواضح ان الذى اطلق اشارة الابتداء في الحلم هو ما
سمعته ، وانا نائم ، من نداء الموظفين باسم المحطة ..
فتسبب النداء في تنبيهى بعض الشيء ، فلم اتبين اسم
« ماربورج » وظننته « هولتورن »

وقد اقترن سفرى في تلك الليلة بظروف مزعجة
ومتعبة ، مع اننى كنت اركب في الدرجة الاولى .. بيد
ان القطار كان مزدحما جدا ، وشاركنى في مقصورتى
رجل وزوجته كانا على درجة بالغة من سوء الادب ،
ولعلهما تعمدا ان يظهرآ لى تدمرهما لدخولى المقصورة
ومشاركتى اياهما فيها ، بحيث اتى القيت عليهما التحية
فتجاهلانى وتجاهلا تحيتى ..

ومع ان هذين الزوجين كانا يحتلان المقعد الذى الى
جهة القاطرة ، فقد سارعت السيدة باحتلال المكان الذى
يواجهها بجوار النافذة فوضعت فيه مظلتها ، وقام
السيد باغلاق الباب ، وتبادلا تعليقات فظة حول
مقتضيات فتح النوافذ واغلاقها ، ولا بد انهما فطنا الى
تشوقى في تلك الليلة الحارة الى نسمة من الهواء الطلق ،
فابديا تمسكهما باحكام اغلاق النوافذ والباب .. ولم
تلبث المقصورة بطبيعة الحال ان استحالت الى ضاحية
من ضواحي جهنم !

وكنت قد عرفت من خبرتى فى الاسفار أن أولئك
المتفطرسين قليلى الحياء يكونون فى الغالب من غير الركاب
الأصليين للدرجة الأولى ، وإنما هم ممن يحصلون
بالمحسوبية على ترخيصات سفر مجانية أو على تصريح
للسفر بنصف الأجرة أو ربعها !

وكانت المرأة ذات وجه عجوز مجعد وملامح صارمة ،
فى سن تقارب سن اليأس .. وأما الرجل فكان عتلا
صموتا ، ظل جامد الملامح لم يفتح فمه بكلمة واحدة ..
وبعد قليل ، صدق ظنى حين جاء ملاحظ التذاكر ..
فأبرزت له تذكرتى التى دفعت فيها مبلغا طائلا ، وعندئذ
قالت المرأة للملاحظ بلهجة أمرة متعالية :

— زوجى معه تصريح مجانى بالسفر ..

وبعد انصراف ملاحظ التذاكر ، حاولت أن أستريح
من صحبتها بالنوم .. وبدأت أنتقم فى نومي من رفقى
السوء هذين

وما من شك أن الجزء الأول من الحلم حفل بأنواع من
القذف والسب والاحتقار .. ولكن هذه الأجزاء من
الحلم تطايرت عند اليقظة لأنها أدت مهمتها وانقضت
الحاجة إليها ..

أما الجزء الثانى من الحلم ، فكان تحقيق رغبة فى مغادرة
هذه المقصورة .. وقام الحلم أيضا بتلبية رغبتي ، فأوجد
لى رفيقين شابين أرق من هذين حاشية ..

ولسكن العجيب حقا أننى وأنا فى الحلم دهشت لتغير
المقصورة ، وحاولت وأنا فى الحلم أيضا أن أعلن هذا
التغير المعتاد فى الأحلام بأننى لابد قد تركت المقصورة
أو غيرت العربة وأنا نائم

ولا اعتقد أنه من المنتج إضافة نماذج أخرى من تلك

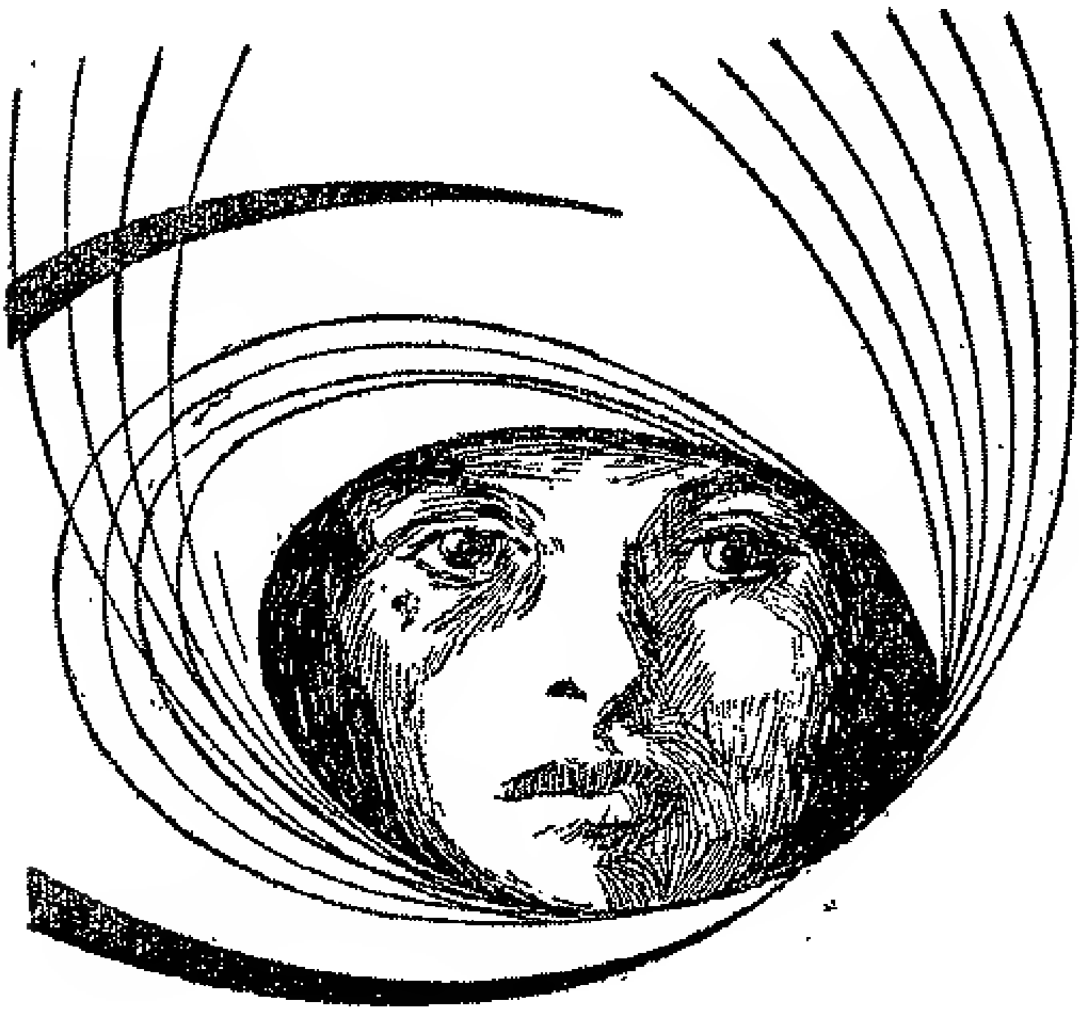
الاحلام ، فلن يؤدي ذلك الا الى تحصيل ما هو حاصل
فعلا . .

ان الاحلام السابقة تكفى للقول بأن الاحكام التي
نصدها اثناء احلامنا ان هي الا صدى مكمل لجزء من
اجزاء الحلم ، وقد يكون هذا الصدى غير ملائم ، ولكنه
قد يكون كما في المثال الاخير دالا على ذكاء وفطنة حتى
ليصلح ثمرة لنشاط عقلى يقظ مستمر اثناء الحلم
وقد ان الاوان الآن للاهتمام بالحالة الانفعالية للحالم
والظهور الذي تبدو به في الحلم



الفصل السادس

الحالة الانفعالية في الحلم • ما لدرجته انفعالية أخرى
لماذا ننسى أهميتها ؟



الحالة الانفعالية في الحلم

ان الحالة الوجدانية التي تقترون بالحلم لا يمكن ان يستهان بها حتى عند الذين يستهينون بمعنى الحلم نفسه واصدق تعبير عن ذلك ما قاله « شترينكر » :

... قد تشعر بالخوف الشديد حين تحلم بهجوم اللصوص عليك .. واللصوص وهم ما في ذلك شك ، ولكن خوفك منهم ليس وهما وانما هو خوف حقيقي ما في ذلك شك !

وما يقال من الخوف في الحلم ، يقال كذلك عن السرود .. فما يقترون بالحلم من حالة انفعالية لا يختلف في شيء اطلاقا عن أحوالنا الانفعالية ونحن في اليقظة ..

وعلى هذا الاساس يمكن القول ان مضمون الحلم جدير ان يحتل مكانه بين الحقائق الواقعة بمنصره الوجداني كما هو ، اما منصره الفكري فموضع خلاف ، وقصارى دعواتنا انه يحتاج الى تأويل وتفسير على ضوء منهج التحليل ..

ولكن الملاحظ اننا في حال اليقظة نربط بين حالتنا الانفعالية وبين المضمون العقلي للاشياء ، ولذلك عندما نستيقظ من حلم مروع ، ونتأكد من عدم وجود المبرر الفكري للارتياح في عالم الواقع يفرخ في روعنا على الفور ومن العجيب في امر الاحلام ايضا ان المدلول الفكري في الحلم لا يقترون حتما لزاما بالآثر الوجداني المعهود في

اليقظة ، فقد نرى في الحلم عزيزا علينا يصاب بمكروه ، ولا نشعر في الحلم لذلك بأي صدى من الاكتراث ، وقد نأثى في الحلم عملا لا يكاد أن يعاق به غبار ، بيد أننا نشعر في الحلم بحرج شديد وخزي ، ونتمنى لو أن الأرض انشقت فوارتنا عن العيون

ولهذا حق لبعض العلماء أن يقرر أن الأحداث تنفصل في الحلم عن أثرها الانفعالي .. فقد يحدث الانفعال الشديد من غير مبرره ، وقد يحدث المبرر القوي ولا يقع الانفعال الشديد !

وهذا الانفصال بين المضمون الفكرى والمضمون الانفعالي هو الذى حدا بنا الى القول - فيما سلف - أن المضمون الفكرى يتعرض لعملية الأبدال والالتواء والتعمية بحيث يدل الشيء على ضده ، فى حين يبقى المضمون الانفعالي من غير تبدل

ما أشبه هذا بدور التخفى والتشكر من أمين العسس والرقيب ، ففي هذه الحالة تنبج العناية كلها الى تغيير الشكل والمظهر .. فقد يرتدى الرجل زى امرأة ليفلت من الرقيب ، ولكنه لا يكون بحاجة الى تغيير ما بقلبه من عواطف أو مطامع أو مخاوف لا يمكن أن تنفذ اليها عين ذلك الرقيب على كل حال !

كل هذا يحدونا الى عدم التعجب من التفاوت بين المضمون الفكرى والمضمون الانفعالي للحلم الواحد .. بل أننا نعتبر بقاء المضمون الانفعالي بعيدا عن التبدل والتشويه بمثابة نعمة كبرى ، لأنها نقطة الانطلاق نحو الكشف عن المفزى الخفى وراء المضمون الفكرى للحلم اثنى حين أرى فى الحلم عزيزا أصيب بمكروه ، ولا أشعر فى الحلم لذلك بلذع أو أسى ، أستنتج على الفور أن ذلك العزيز المصاب لا يمثل شخصا ، إنما هو سستار

لشخص آخر أو شيء آخر ينبغي أن أكشف عنه بالتحليل وكذلك الحال حين يحدث العكس .. فإذا لم يقع مني في الحلم ما يستوجب الخزي أو الندم ، بيد انى أشعر بخزي شديد أو ندم لاذع .. فمعنى هذا أن ما أتيت به في الحلم من عمل يبدو بريئاً إنما هو قناع زائف للتمويه على الرقيب الشعورى ، وينبغى أن أبحث عما تحت هذا الستار التنكرى من رغبة لاشعورية ، أو ذكرى قديمة مكبوتة هي الجذيرة باثارة خجلى أو تدمى

ولعل من المناسب أن أذكر هنا مثلاً طريفاً ، هو أول حلم استطعت أن أستدرج حفيدى حين كان فى الشهر العشرين من عمره كى يقصه على .. وهو حلم حقق له رغبة ، ولسكن الحالة الانفعالية التى كانت حرية بتحقيق هذه الرغبة فى البقطة لازمته فى الحلم من غير أن يكون فى ظاهر الحلم ما يبررها ..

ففى الليلة السابقة على سفر والده الى ساحة القتال ، استيقظ حفيدى وهو ينتحب بشدة وبصيح :

— بابا .. بابا .. مع ييبى
ومعناه طبعاً بلغة الطفل أن بابا وبيبى (وهو الاسم الذى يطلق على الطفل فى الأسرة) سيبقيان معا ، مع أن البكاء يدل على أنه مسلم بقرب سفر أبيه الى بعيد .. وتلاحظ أنه كان يعرف منذ شهور كلمة « بعيد » .. فهو يلقي من النوافذ بكل ما تصل اليه يده ، ثم ياتينا فرحاً وهو يهتف :

— بعيد .. بعيد ..



ان الرقابة تؤثر على صور الحلم الظاهرة ، ولكنها اقل ما يكون تأثيراً على الحالة الانفعالية .. فالحالة الانفعالية اذن هى التى يمكن أن نسترشد بها فى معرفة

الحقائق التي أفسدها التشويه والتعميه على الرقابة ..
والحقيقة أن الامراض العصبية لها تأثير كبير في تقدم
هذه الدراسة ، لاننا نجد المصاب بالهستيريا مثلاً
يضطرب اضطراباً شديداً أو يوتاع بسبب تفاهات لا تبرر
كل هذا الانفعال العنيف ، والنائم الخالم قد يشعر بمثل
ذلك التفاوت الضخم بين المؤثر والاستجابة ..

ان السبب الحقيقي في الحالتين ، هو أن المؤثر الظاهري
التافه يخفى وراءه السبب الحقيقي في الهياج الانفعالي ،
وهو سبب في الحالتين مكبوت في اللاشعور ، لا يستطيع
أن يسفر عن وجهه الحقيقي في دائرة الشعور

وتأسيساً على هذا ، ندرك أن الحالة الانفعالية
والمضمون الخفي لا يكونان في الحلم وفي الهستيريا شيئاً
واحداً متكاملًا ، ومن الحالة الانفعالية ، نستطيع أن نصل
بالتحليل الى المضمون الحقيقي المستتر ..

وسأستخدم أحلاماً نموذجية لتوضيح هذه الفكرة ..



وأبدأ بحلم إحدى مريضاتي :

— رأت ثلاثة سباع في صحراء ، وكان أسد منها
يضحك لها .. ولم تشعر بالخوف ، ثم اذا بها بعد
لحظة تجرى هاربة ، وتريد أن تتسلق إحدى الأشجار ..
ولسكنها تجد أن قريبة لها تشتغل معلمة للغة الفرنسية
قد تسلفتها قبلها ..

وبالبحث عن المناسبة المباشرة لهذا الحلم في أحداث
اليوم السابق ، اتضح أنها كتبت في موضوع انشاء
باللغة الانجليزية « أن البلد يرين الاسد » وعرفنا أيضاً
أن أباهم ملتج ، وأن لحيته السكثة أشبه بلبد الاسد ، وأن
معلمة اللغة الانجليزية لها اسم مشتق من الاسد في ظاهر

النطق ، وإن صديقة لها أهدتها أشعارا لأديب الماني اسمه من مشتقات اسم الأسد أيضا .. فمن الراجع أن تكون هذه هي الأسود الثلاثة التي رأتها في منامها ، فإذا كانت هذه حقيقتها فمن الطبيعي إذن ألا تشعر بالخوف منها

وبالتحليل أيضا تعقبنا خواطرها وذكرياتنا ، فعلمنا أنها كانت قد قرأت منذ مدة وجيزة رواية تاريخية عن العبيد في عهد روما ، وكيف أن أحدهم تمرد وحاول الهرب فأطلقوا في أعقابه كلاب الصيد الضارية ، فلم ينقله منها إلا تسلق أول شجرة وجدها في طريقه .. ! وتذكرت الحالة أيضا قصصة فكاهية عن التملق والمحسوبية ، فقد سئل موظف لماذا لا يتقرب إلى رؤسائه كي يحظى بالترقية ، فأجاب قائلا :

— وما حيلتي ؟ إن الباب الخلفى هو الذى يوصل إلى الرؤساء .. وقد حاولت ذلك مرة ، ولكنى وجدت رئيسى المباشر قد سبقنى إلى هناك !

وأما المشال الثانى ، ففيه عود إلى تلك الشابة التى ذكرت في فصل سابق أنها حطمت بوحيد اختها مسجى في نعشه ، ولم تشعر بحزن عليه .. فقد دلنا التحليل على أن ذلك الموت إنما كان ستارا غير حقيقى يخفى رغبتها في أن ترى حبيبها الذى انقطعت بينها وبينه الأسباب ، وكان من المحتم أن تشعر في الحظ بحالة انفعالية تتفق والحقيقة السكائمة ، ولا شأن لها بالمظهر التنكري الذى لا علاقة له إطلاقا بالموقف الانفعالى ، ولذا لم تشعر بالحزن إطلاقا

وهناك حالات يبدو فيها انفصال الحالة الوجدانية

عن المضمون الخفى للحلم أكثر تعقيدا ، ونجد عمليات
الابدال على أشدها ، وسأسوق حلما من أحلامي للتدليل
على ذلك :

سأيت فى المنام شاطئ البحر أمامى وعليه قلعة ..
ثم اتبين أن القلعة ليست على شاطئ البحر بالضبط ،
وأنما هى مقامة على قناة صغيرة تفضى إلى البحر ،
وحاكم القلعة هو « ب » ، أرانى واقفا معه فى بهو كبير
للاستقبال فيه ثلاث نوافذ أرى منها أمامى مشريبات
مغطاة كتلك التى يطلق منها القناصة النار عندما تحاصر
القللاع ، وكنت أعلم - وأنا فى الحلم - أننى متطوع بدرجة
ضابط بحرى أو ما أشبه ذلك ، وأنا فى القلعة نتوقع
هجوم بوارج الأعداء لأننا فى حرب ، والحاكم « ب » على
أهبة مغادرة القلعة ، وهو يزودنى بالتعليمات إذا حدث
الهجوم فى غيابه ، وزوجة « ب » تلازم القلعة لمرضها
ومعها أطفالها ، والتعليمات تقضى إذا بدأ الهجوم أن يخلى
البهو الكبير فى الحال ، يزفر « ب » بشدة ويولينى ظهره
لينصرف ، فأتشبث به وأستفسره عن كيفية الاتصال
به عند اللزوم ، فيرد ردا مبهما ويقع ميتا ، وأدرك أننى
أرهقته بالأسئلة ولكنى لا أشعر بأى أسى لموته ، وأسأل
نفسى هل من المحتم أن تظل أرملة هى وأولادها بالقلعة ؟
واليس من الواجب أن أخطر القيادة العليا ، وأتولى قيادة
القلعة باعتبارى الضابط الذى يليه فى الرتبة ، ووقفت
أمام إحدى النوافذ أراقب مرور السفن التجارية
السريعة ، وهى تمخر عباب الماء بمداخنها الطويلة أحيانا ،
وبالسطوح مائلة مثل المخازن والمحطات أحيانا أخرى ،
ويظهر أخى بجانبى ، وينظر معى إلى القناة .. يفزعنا
ظهور سفينة معينة ونصيح معا فى صوت واحد : ها هى
البارجة ! .. ثم نتبين أنها مثل باقى السفن العالدة ،

وتقترب بعد ذلك سفينة صغيرة شكلها مضحك وعلى ظهرها أشياء تشبه الفناجين والعلب ، فأهتف أنا وأخي في صوت واحد أيضا : ها هي سفينة الافطار ..

ولا شك في أن مناظر الماء والمداخن والسفن السريعة انما هي صور منقولة عن ذكريات أسفارى الشخصية في بحر الأدرياتيک ، وكان الكثير من هذه الصور واضحا جدا في ذهنى لانى قمت قبل الحلم بأسابيع قليلة باحدى تلك الرحلات في صحبة شقيقى ..

وفى الفترة التى حدث فيها الحلم كانت هناك مناوشات بحرية بين الولايات المتحدة واسبانيا ، أثارت قلق الاسرة على بعض اقاربنا المقيمين فى امريكا ..

وأما الحالات الانفعالية فى الحلم فأمرها أكثر تعقيدا ، فقد تخلفت حالة انفعالية معينة عن الظهور .. وكان المفروض أن تظهر عند وفاة حاكم القلعة ، أما عندما توهمت ظهور سفينة حربية فقد حدث الفرع ..

ويبدو لأول وهلة أن وفاة الحاكم لا تستدعى حزننا شديدا ، كما أن ظهور السفينة يستدعى الاضطراب والقلق ، ولكن المحير فى المسألة أن الحاكم فى الحلم لم يكن شخصا آخر سوى أنا !

ان حاكم القلعة فى هذا الحلم هو بدلى أنا ، لاننى كنت قلقا فى تلك الفترة على ما ستصير اليه أرملى وأطفالى اذا مت فى سن مبكرة ، وهى فكرة ليست جديدة بأن تحزننى ، وانما هى جديدة بأن تقلقنى وتفزعنى ، ولكن الحلم فصل انفعال الفرع من لحظة الموت الى لحظة ظهور البارجة المزعومة ..

وأما منظر ظهور السفينة الحربية ، فمصدره مصدر حقيقى لم يكن مقترنا بالفرع .. بل على العكس كان مقترنا بالسرور ، فقبل هذا الحلم بسنة تقريبا ، كنت

مع زوجتى وأولادى فى رحلة بمدينة البندقية ، وكان اليوم صافيا بديعا .. ووقفنسا فى الشرفة المطلّة على القناة المؤدية الى البحيرة الكبيرة ، وكان نشاط الناس فى هذا اليوم أكثر من المعتاد لانه كان من المقرر أن تزور مدينة البندقية بعض البوارج الانجليزية ..

وفجأة هتفت زوجتى فى جمل الاطفال :

— ها هى البارجة الانجليزية ! ..

ولكن الحلم نقل الى هذا المنظر البهيج حالة الفرع .. وهو دليل على ان الحلم يقوم بعمليات ابدال شديدة ، يفصل فيها الحالات الوجدانية عن المواقف الظاهرية .. اما موضوع ما سميت به فى الحلم سفينة الافطار ، فانى عندما اتعمّن فى هذا الجزء اذكر أن لون هذه السفينة المضحكة كان أسود قاتما ، وأن شكلها المضحك يشبه الصوانى الاثرية السوداء اللون التى رأيتها فى رحلاتى ، وكنا نحسبها تحمل فناجين للقهوة أو للشاي ، لشدة شبه هذه الاشياء بأدوات الافطار فى عصرنا الحديث ، ولكن الدليل أخبرنا أنها أدوات للزينة التى كانت تستخدم فى ذلك العهد السحيق

وعلى هذا الاساس ، تكون السفينة السوداء التى ظهرت بهذا الشكل هى أدوات زينة سوداء اللون ، أو بعبارة أخرى الزينة التى تستخدم فى الحداد — أو الحداد عموما — وهذا أيضا مرتبط بفكرة الموت ..

ومن جهة أخرى ترمز هذه السفينة السوداء الى السفن الجنائزية التى توجد فى الأساطير لحمل الجثث الى وادى العدم .. ولكن هذا أيضا له مصدر من الواقع ، ففى بعض رحلاتنا لم يعجبنا الطعام الذى يقدم على السفينة ، فاشترينا من البر اطعمة وأطبقة وتمتعنا

بافطار ممتاز على ظهر المركب شهدنا أننا قلما تمتعنا
بمثله



وأستطيع القارىء في أن اذكر نموذجا آخر من أحلامي
لا بد أن يملأ ظاهره التصويرى نفس القارىء بالاشمئزاز
الشديد ، ولولا أن هذا الحلم لعمين جدا من حيث اقامة
البرهان على التناقض الشديد بين المضمون الوجداني
والصور الظاهرية في الحلم لما سمحت لنفسي أن أتمسك
بتسجيله هنا ، واليكم الحلم :

— رأيت ربوة فوقها دورة مياه في العراء ، وهي عبارة
عن مقعد مفرط في الطول .. وفي نهايته فجوة كبيرة ،
والخافة الخلفية منه عليها طبقات من البراز المتفاوت
الاشكال بعضه جاف وبعضه لين ، ومن خلف ذلك المقعد
مجموعة أشجار . أبدا أنا في التبول على ذلك المقعد فإذا
فيضان من البول يكتسح كل هذه الاقدار فتسقط في
الفوهة الجانبية يسيرا منها ، ولم أشعر أثناء ذلك بأى
تقزز مما أرى أو أفعل ! ..

والسؤال الهام هو لماذا لم أشعر بالتقزز ؟
ومن هذا السؤال بدأ التحليل .. واتضح أن الحقائق
السكائمة لذلك الحلم ليس فيها — رغم ظاهرها القبيح —
ما يدعو الى الاشمئزاز ، بل ما يدعو الى السرور والزهو
أن هذه الكميات من البراز إنما هي إشارة الى ما
ورد في الأساطير اليونانية عن ثراء « أوغياس » حتى
ليقال أن مواشيه تكسبت نفائاتها في الحظائر المترامية
بعيث عجز الناس عن تنظيفها .. ولم يقدر على ذلك
سوى سليل الآلهة « هرقل » !

وفي الحلم كنت أنا « هرقل » .. أما الربوة العالية

التي في قمعتها الاشجار فهي المسكان الذي كان يصطاف فيه افراد أسرتي عند ما رايت ذلك الحلم ، وأما المقعد الطويل فما أشبهه بقطعة أثرية نفيسة أهدتني اباما احدي مريضاتي امرابا عن امتنانها لجهودي . . وفي ذلك اشارة الى ما أحاط به من التقدير والتكريم نظير جهودي بل ان دورة المياه المقامة فوق ربوة في المراء مصدرها الواقعي تلك المراحيض العامة التي يقيمها الايطاليون بهذا الشكل في ضواحي بلادهم الصغيرة ، وكنت أحتفظ لايطاليا دائما بأحسن الذكرى وأتوق لزيارتها في كل وقت . .

وأما الطوفان الجبار من البول الذي يكتسح كل شيء ، فهو تعبير عن منتهى العظمة والقوة . . فبهذه الوسيلة اطلقا « جاليفر » حريقا هائلا شرب في بلاد الاقزام ، بل ان « جارجنتوا » العملاق الخرافي قد انتقم من أهل باريس في رواية « ربلية » العظيم بأن صعد فوق كاتدرائية النوتردام وأطلق خرطوما من البول على المدينة وأهلها والذكر بهذه المناسبة انني عشية الحلم بالذات كنت القيت بعد ظهره محاضرة لي عن علاقة « الهستيريا » الى هذا انني كلما ذهبت الى باريس كنت اتحين الفرص لزيارة كاتدرائية نوتردام وقضاء ساعة بين تماثيلها العجيبة

واليوم السابق لهذا الحلم كان يوما حارا جدا . . وقد القيت بعد ظهره محاضرة لي عن علاقة « الهستيريا » بالاضطرابات الجنسية ، ولم أكن راضيا على الاطلاق مما قلته ، لاني كنت في حالة اعياء بحيث خيل الى ان كلامي كله في تلك المحاضرة كان متداعيا خاليا من القيمة ، وتمنيت لو استطعت التخلص من التثقيب في مصائب الناس ومتاعبهم ونقائصهم كي اقيم مع اطفاسالي في

مصيفهم الجميل برهة اخف بعدها الى ربوع ايطاليا
الساحرة

خرجت وانا بهذا المزاج المنقبض من محاضرتي ،
وتوجهت الى مقهى اتناول فيه ما تيسر من الطعام ...
والواقع ان مزاجي لم يسمح لي بالاقبال على وجبتى
بشهوة

ورآني في ذلك المقهى احسد من حضروا المحاضرة ،
فأقبل في حماسة - وعلى استحياء - واستأذنتني ان
يجلس الى مائدتي وانا اشرب القهوة ، ثم اخذ يصب على
الثناء الشديد ، ويؤكد لي انني اكتسحت ما كان في عقله
من رواسب الماضي المتعفنة ، واني من اعظم الرجال في
العالم .. فهو بفضل ينظر الى الامور بنظرة جديدة
تماما ..

وليس ادل على سوء مزاجي في تلك الليلة من ان
ذلك النشاء - المستطاب عادة - اثار عندي الضيق
والتقزز ، وسرعان ما تخلصت من هذا الشخص وذهبت
فورا الى منزلي ، وسليت نفسي بتصفح تلك الصفحة
المصورة من كتاب « ريليه » الخالد ..

ومن هنا نقلت الى الحلم افكار ، الفرض منها تحقيق
رغبة العزاء لي عن الشعور بالفشل والخيبة في محاضرتي
بتقديم صور أسطورية ترضي « بارانويا » العظيمة المسرفة
بأكثر من وسيلة .. وامعانا في هذا التعويض ، حدث
إبدال قوي ، فشعرت بالزهو وسط كل المظاهر التي
تدعو الى التقزز



وأدري نموذجا آخر رواه بعض المؤلفين عن زوجة
أيقظت - وهي منزعجة - زوجها المسن لانه كان وهو نائم

يقهقه قهقهة عالية ، وروى الرجل الحلم التالى :

— رأيتنى راقدا فى فراشى ، والى جوارى زوجتى ،
عندما دخل رجل أعرفه ، وحاولت أن أوقد النور ،
ولكن الزر استعصى على ، وأعدت المحاولة بغير طائل
فقامت زوجتى وحاولت ولكن بدون فائدة أيضا ..
وأخيرا عادت بسرعة الى الفراش لتخجلها من أسبابها
غير الملائمة أمام الضيف ، وقد جعلنى هذا كله أضحك
ضحكا عاليا ، وأخذت زوجتى فى الحلم تسألنى لماذا
أضحك فلا يزيدنى سؤالها إلا مزيدا فى الضحك الى أن
أيقظتنى .. وفى النهار التالى كنت أشعر بانقباض والم
فى الرأس مما جعلنى أرجح أن هذا الضحك الكثير قد
أرهقنى

والواقع أن مضمون الحلم ليس فيه ما يبهج القلب ،
فالرجل المعروف الذى دخل الحجرة هو رمز الموت ،
وكان الحالم المصاب بتصلب الشرايين قد فكر كثيرا فى
اليوم السابق فى أمر الموت ، وقام الحلم بقلب الانفعال من
الحزن والغم الى القهقهة ، وأما النور الذى عجز عن إيقاده
فهو شعلة الحياة

والمحاولات الفاشلة تعبير عما حاوله ذلك الحالم قبل
النوم من مضاجعة زوجته ، فباءت محاولته بالفشل
رغم أنها حاولت أن تساعد فى ذلك الأمر وهى نصف
عارية مما جعله قبل أن ينام مباشرة يحس أن شمس
حياته قد جنحت للمغيب .. فجاء الحلم وقلب هذا
الاحساس بالأسى والتكد الى الجانب المضحك

حالات انفعالية أخرى

ومن الأحلام ما يستحق أن يفرد له باب تحت عنوان أحلام النفاق ، وكان أول ما لفت نظري إلى هذا النوع من الأحلام ، هو حلم أتت به الزميلة الدكتور « هيلفر دينج » كي ندرسه في جمعيتنا العلمية للتحليل النفسي ، وصاحب الحلم مؤلف نمسوى أورد حلمه ذاك في قصة له :

— ان نومي في الغالب عميق ، ولكنه في كثير من الأحيان غير مريح ! .. لان أشباح متاعبي قبل ان أضع قدمي على سلم الادب ظلت تلاحقني سنوات طويلة ، وليست أعني بهذا انني كنت أقضي ساعات النهار مفكرا في ذلك الماضي ، والأحلام التي كنت أراها في الليل لم تكن لتشتغل بالي كثيرا .. ولكني بعد ان دخلت في زمرة أهل الثقافة صرت أراجع كل شيء وأعمل فيه أفكر ، وصرت أضيق أنا المطلع الطموح بعرفتني حينذاك أوهي صانع في دكان خياط ثياب .. فأتحسر على وضعي هذا وعلى ما يضيع سدى من وقتي ، وكم حدثتني نفسي ان أهجر هذه الحرفة الحقيرة ، وأمضي في طلب عظمائم الأمور ، وكنت في الليل أحلم أيضا بأنني أحاول التخلص من وضعي الملل ، بل وكنت أحيانا أفلح في ذلك .. الا أن صاحب الورشة كان لا يهتم لما أصنع ويتجاهل تصرفاتي فأجسدتني من جديد ألزم جواره وأعكف على الحياكة والسكى .. حتى اذا استيقظت شعرت بالراحة

من جو ذلك الحلم الثقيل ، وأصمم اذا تراءى لى حلم
من هذا النوع الا أدع نفسي أشعر بالسكر ، وأن أتذكر
أن الحلم وهم وأنى مستريح بين أغشية فراشى ، ولكن
ما أن يأتى اليوم التالى حتى يعاودنى الحلم ، وأجسد
نفسى مرة أخرى مكروبا بالعمل فى محل الخياط ، وقد
استمر هذا الحلم يعاودنى سنين طويلة وبمثابة مدهشة
.. ثم حلمت اننى مع معلمى فى بيت فلاح معين ذهبنا
اليه منذ سنوات فى أول التحاقى بالمهنة ، ورأيت فى
الحلم أيضا أن المعلم متأفف من طريقتى فى الحياة أكثر
من العادة ، حتى أنه سألنى متهمكا أين دعائى ونظر
الى نظرة شلراء .. فخطر لى أن انسب ما أفعله هو أن
أقف وأصارحه أننى سوف لا أبقى معه ما دام غير راض
عنى ، ثم أتركه وأنصرف .. بيد أننى لم أفعل شيئا من
هذا القبيل ، والأدهى من ذلك أن المعلم نادى صانعا
آخر وأمرنى أن أتخلى له عن مقعدى .. فانصعت لمعلمنا
وذهبت الى الركن فانكشيت فيه وانصرفت الى مواصلة
الحياة ، وبعد قليل الحق معلمى بالعمل صانعا جديدا ذا
وجه تنكرى ، وهو بعينه ذلك الفجرى الذى الحقه
بخدمته قبل ١٩ سنة وسقط فى النهر وهو عائد ، ووقف
الصانع الجديد ينظر فى المكان مفتشا عن موضع له ،
ونظرت أنا من الركن الى المعلم مستفسرا ، فقال لى :
- أنت لا تصلح لمهنة الحياة ، وفى وسعك أن ترحل ..
أنت مطرود ! .. فاستولى على زعر شديد كان كافيا
لايقاظى من نومى .. ووجدت ضوء الصباح ينفذ من
الستائر الى حجرتى المعهودة ومن حولى تحفى الفنية ،
فهيها هى دواليب كتبى الزاخرة بأعمال هوميرس ،
ودانتى ، وشكسبير ، وجوته ... وكلامهم من أعظم
الخالدين ، ومن الحجرة الأخرى تصل الى سمعى أصوات

ندية على القلب ، هي أصوات اطفالى يلهون مع والدتهم
يعايشونها وتعابثهم ، وكل شيء يشير الى أنه لم تعد لحياتى
الحاضرة صلة بتلك السنوات المكدودة ، سنوات عملى
فى دكان الخياط ، ومع ذلك شعرت بالفيظ لاننى لم اكن
انا الذى استقلت من تلقاء نفسى فى الحلم ، بل تراخيت
وتركت الفرصة لذلك المعلم الفظ كى يطردنى شر طردة
.. ولكن الاعجب من ذلك اننى بعد تلك الليلة المزعجة
التي حلمت فيها أن الخياط طردنى من خدمته شعرت
بالراحة ، فلم يعاودنى الحلم بأيام حرفتى القديمة ..
تلك الايام التي أبادر هنا احقاقا للحق ، فاقول انها كانت
رخية خالية من المسئوليات .. بيد انها ظلت تطاردنى فى
المرحلة التالية من حياتى ، وتشر الاضطراب والكدر
فى منامى

ووجه الصعوبة فى هذا الحلم انك لا تستطيع أن تحدد
بسهولة موضع الرغبة التي تحققها تلك الصور «الحلمية»
المتكررة وهي تلاحق أدبيا ناجحا بدأ حياته صانعا صغيرا
فى محل خياط ، فان مجسده متحقق فعلا فى حاضره
الواقعى .. فكيف نسمى هذا الكرب الذى يطارده فى
النام تحقيق رغبة ؟

ولكنى استنطعت بالرجوع الى تجربتى الشخصية أن
أبين سر هذا النوع من الأحلام ، لانى رأيت أحلاما من
هذا القبيل .. فقد سبق لى أن عملت فترة طويلة فى
بداية اشتغالى بالطب فى معمل كيماوى ، فلم أظهر أى
تفوق وظللت خاملا ضئيل القدر ، الى أن تركت ذلك
العمل العقيم ، ولذا أنجذب التفكير ، وانا يقظان ، فى تلك
المرحلة من عمري التي لا تليق بحياتى العلمية ، ولكنى
كثيرا ما كنت أحلم انى أشتغل فى ذلك المعمل وأقوم
بالتحليلات بطريقة غير مرضية ، وأشعر بالمضاضة ،

واقوم من النوم وأنا متأفف فقيد الصبر ..

وبعد تفكير في الامر ، لغت نظري أن تلك الاحلام
تأتيني دائما بحيث أرى نفسى أقوم بتحليلات .. فكانت
كلمة « تحليل » هي كلمة السر ، وكأنها تشير الى اننى
اشتغل الآن أيضا بالتحليل ، وأصل فيه الى نجاح كبير ،
وأظهر بالتكريم والتقدير .. ولكن التحليلات اليوم هي
التحليلات النفسية ..

فكان احلامي تلك تأتى جوابا على ما يخامرنى من الزهو
لنجاحي في التحليل النفسى ، فتذكرنى في منامى بتلك
التحليلات التى فشلت فيها في مقتبل عمري .. وهكذا
يكون الحلم نوعا من العقاب على الزهو وتذكير للمختال
بنجاحه الطريف بأن له ماضيا لا يشرفه كثيرا ، فأولى
به ثم أولى أن يتواضع قليلا .. وهذا هو ما حدث
للاديب المشهور ، فحلمه يذكره بما كان من أمره في صدر
شبابه اذ عمل صبيا في محل خياط ..

ولكن المشكلة هي لماذا يسمح الحلم للنقد المؤلم أن
يظهر بهذه الصورة ؟ وهل يمكن أن يسمى هذا التبكيت
نوعا من تحقيق الرغبة ؟ ..

كى نفهم مثل هذا الحلم المشكل ، علينا أن نتذكر أن
نفوسنا تحتوى على نزعات « ماسوكية » وربما أدت الى
مثل هذا التعذيب ، فان « الماسوكية » هي التسلسل
بتعذيب الذات ، ولذلك قد يفرد البعض لهذا النوع من
الاحلام عنوانا يختلف عن تحقيق الرغبة ، فيسمونها
احلام العقاب ، وان كنت انا شخصا لا أرى تناقضا
بين الاسمين .. لاننى اعتقد أن الشيء وضده يلتقيان
بكل سهولة ويسر ، ففي عالم النفس الانسانية لا وجود
لصفة مطلقة

وبهذه المناسبة اذكر اننى رأيت نفسى فى أحد تلك
الاحلام « التيكيتية » شابا سدت فى وجهه أبواب العمل،
ولا أعرف كيف حصل على الرزق .. ولكنى فى الوقت
نفسه حلمت اننى أعزب والفتيات يتمنين أن أختسار
أحداهن زوجة لى ، وكان من بين الفتيات زوجتى الحالية
وقد ارتدت شابة ، وهذا يشى بالبائع على ذلك الحلم ،
وهو البائع الذى يخامر كل رجل انقضت فترة شبابه ،
فهو يتمنى لو عاد الى صباه وصادفته نفس المتاعب ،
وليس من النادر أن يقول من فى مثل حالى وسنى :

— الحمد لله .. فكل شيء اليوم على خير ما يرام ، لقد
انتهينا من مجابهة الصماب والكفاح الشاق ، ولكن
ما كان أجمل أيام ذلك الكفاح حين كان المرء شابا



وليس من النادر أن يرى الانسان فى الحلم نفسه ، وقد
تصاقى مع من خاصهم منذ سنوات وراجع جبل الود ،
وهذا أيضا يندرج تحت احلام النفاق ، ولكنى أرى
ذلك من الأمور المألوفة التى لا تثير مشكلة ، وأفضل أن
أعود الى الحلم الاغرب الذى رأيت فيه الشيخ « بروكيه »
يكلفنى بأن أجهز للتشريح حوضى وساقى ..

وأذكر اننى فى هذا الحلم لم أشعر بالدهشة ولا الالم
ولا الارتياح ، وأذكر الآن أن الحلم كان يرمز الى تحقيق
رغبة .. لانى كنت مهتما بإجراء مهمة عسيرة جدا هى
أن أحلل نفسى بنفسى توطئة لنشر كتابى هذا ،
وكان قيامى بتلك العملية باصرار ، بسبب لى آلاما
ومضايقات كثيرة حتى اننى أرجأت أكثر من مرة نشر
النسخة الاولى من كتابى هذا بعد أن فرغت منه ..

ولكنني كنت أقاوم عواطفى وأمضى فى عملى ، ولذا لم
أشعر فى الحلم بالارتياح أو الفرع

وهذا جرى أن يسوقنا الى القول بأن الحالات الوجدانية
فى الحلم ربما صدرت عن رغبة لا شعورية مكتومة أو عن
دافع أخلاقى ، فان كل مصدر قادر على توليد الانفعال
فى الحياة العادية فهو صالح أيضا لتوليد الانفعال أثناء
النوم ..

وأحب أن أتبه هنا الى أن تفسر الانسان لأحلامه
ليس بالعمل الهين ، بل يحتاج الى حزم ونزاهة شديدين
.. فقد يصل الانسان من تفسير حلمه الى أنه فى بعض
مواقف الحلم كان منحطاً أنانياً خسيس الخلق والطباع



لماذا ننسى أحلامنا ؟

هناك حلم روته لى إحدى مريضاتى ، ولست أعرف بالضبط من الذى رأى هذا الحلم .. لأن مريضتى سمعته من السنة البعض ، بيد أن هذا الحلم أثار اهتمامى ، ولهذا أرى من المناسب أن أرويه فى هذا المقام :

— مرض ابن أحمد الأشخاص فلزم الأب فراش وحيد لا يبرحه أباما طويلة ، الى أن مات الطفل .. وكان الأعياء قد نال من الأب ، فأحضر رجلا مسنا كي يسهر بجوار الجثمان — كما هى التقاليد — بعد أن أضيئت من حوله الشموع ، وتعهد الرجل المسن أن يظل ساهرا طوال الليل يردد الأذعية ، وانتقل الأب الى حجرته التى يصل بينها وبين حجرة المتوفى باب مفتوح ، وورق على فراشه التماسا لشيء من الراحة ، وفى وسعه اذا فتح عينيه أن يرى ما يجرى فى الحجرة الأخرى ، وقلب النعاس الأب ، فنام قليلا ورأى فى منامه ابنه المتوفى واقفا أمامه يهز ذراعه ويقول له :

— ألا ترى يا أبى أتى أحترق ؟ .. واستيقظ الأب ملعورا ، فوجد النار مندلعة فى الحجرة الأخرى ... فأصرع الى هناك ليجد الرجل المسن قد غلبه النوم ، وامتدت النار من إحدى الشموع فاندلعت فى قطاء الفراش ، واشتعلت فى أحد ذراعى الجنة

وفى اعتقاده أن النار التى اندلعت قد نفذت بوهجها

الى شبكية عين الاب وهو نائم ، فصور له الحلم ما حدث
بهذه الصورة الخيالية .. بل واعتقد ايضا أن العبارة
التي نطق بها الابن في الحلم لابد أن تكون مستمدة من
احدى عبارات الطفل الحقيقية في موقف آخر ..
ولكن لماذا صور الحلم عملية اشتعال النار بهذه
الصورة بالذات ؟ ..

انها سياسة تحقيق الرغبة مرة أخرى .. فهذا
الحلم يحقق أمنية للحالم ، مؤداها أن ابنه لم يزل على
قيد الحياة ..



ولا يمكن أن يغفل في دراسة الاحلام جانباً هاماً جداً ،
هو أننا ننسى القسم الأكبر من احلامنا بمجرد اليقظة ..
وحتى الاحلام التي نذكرها عند اليقظة تظل تتناقص في
الوضوح شيئاً فشيئاً مع تقدم ساعات النهار ..
فلماذا ننسى احلامنا ؟ ..

ان الجزء الذي نذكره من احلامنا هزيل ضئيل في
الغالب ، وعلى هذا الجزء دون غيره ، نصبه قدرتنا على
التفسير .. وليس ما يضمن لنا أن ذاكرتنا لم تخلصنا ،
او انه مفكك كما يخیل الينا ، فما الذي يدرينا أن الحلم
لم يكن أكثر تكاملاً وخالياً من الثغرة ؟ .. بل ما الذي
يدرينا أن العقل ، وهو يروى الحلم ، لم يحاول ملء هذه
الثغرات بمعلومات جديدة لم يكن لها في الحلم أثر ، لان
العقل ينكر الفراغ ويحاول أن يجمع الشتات في كل
مؤتلف ؟ فان من المؤلفين من يعتقدون أن الحلم يرد على
أذهاننا مفككا ، وأن جميع الروابط انما هي من فصل
الدماغ الواسع ..

كل هذه مسائل جدية بالاعتبار الدقيق لانها تؤثر

تأثيرا بعيدا في قيمة الموضوع الذي ندرسه ، ونستطيع
إذا راجعنا كل تحليل قمنا به بحلم من الأحلام أن نجد
تفاصيل صغيرة لها أهمية كبيرة في الوصول الى المضمون
الخفي للحلم ، وأنه لولا هذه التفاصيل الصغيرة لما
وصلنا الى شيء اطلاقا

اننى اعتقد أن العوامل التى تتسبب في نسيان جزء
من أجزاء الحلم عند تسجيله ، فور اليقظة ، إنما هى
عوامل جديرة بالدراسة النفسية ، وقد يكون لها تأثير
في الحلم ومضمونه أهم بكثير من تأثير العناصر التى لم
يطرأ عليها النسيان

وقد استفدت من استغلال هذه الناحية فوائد ذات
بال ، فأننى حين أجد الحلم الذى سجله مريضى ، أو أملاه
على ، فامض فى بعض المواضع اطلب من المريض أن يعيد
روايته ، وسأجد أنه ينسى بعض المواضع أو لا يهتم بها ،
فأعتبر هذه المواضع ذات أهمية خاصة لأنها تكون أكثر
تعرضا للرقابة .. وكان الخالم يحسن أن هذه المواضع
بالذات يكمن فيها خطر اقتضاح سره ، فيعمد الى
مواراتها من عين المحلل أو بصيرته .. فأنشئت أنا بهذه
المواضع ، وأعتبرها بداية الخيط المفضى الى السر
ولا أطبق هذه القاعدة على المواضع المنسية فحسب ،
بل على كل موضع أجد أن الخالم عند الإعادة يرويه
بعبارة أكثر غموضا ، وكأنه يرمى الى الإبهام والتعمية
.. وعلى قدر المجهود الذى يبذل للتضليل أدرك أهمية
الوطن بالنسبة للسر

وأما تخوف بعض المؤلفين من الاعتماد على الذاكرة
فيما يختص بالأحلام ، فهو في رأيى أمر مبالغ فيه ..
فذاكرتنا اليوم على العموم ليس هناك ما يضمن صوابها
سواء وهى تروى ما يحدث في الحلم أو ما يحدث في

اليقظة ، ولكننا بفطرتنا نعتمد على الذاكرة ولا نجد في ذلك حرجا ..

وإذا كنا نرتاب أحيانا في أن تكون رواية الذاكرة للحلم محرفة ، فهذا الارتياب بدوره مرجعه إلى الدور الذي تقوم به الرقابة الشعورية بالنسبة للأحلام .. فهذه الرقابة تمنع ما تستطيع منعه من مادة اللاشعور حتى لا يطفو إلى دائرة الشعور ، وما ينفذ من رقابتها ويفلت - ولو متفكرا - تحاول الرقابة أن تحتجزه من الذاكرة ، وبهذا يكون النسيان ، أو التغير عند التذكر ، عملية مشابهة لعملية التشويه نفسها

وينبنى على هذا أن الموضع الذي يطفئ عليه النسيان - عند أمادة الرواية - إنما يكون عنصرا وثيقا الصلة بالمضمون الخفى أو المادة الممنوعة ..

إن إحدى قواعد التحليل النفسى الأساسية هي أن كل مقاومة نتيجة فكرة ممنوعة مستترة في اللاشعور يحاول الرقيب أن يبقها مستترة ، وليس من الضروري أن تكون هذه المقاومة سافرة ، بل إن كل ما من شأنه أن يعطل التحليل أو يضلله يجب أن يعتبر نوعا من أنواع المقاومة ..

ونسيان الأحلام - بجميع درجاته - إنما هو من قبيل التعطيل أو التضليل أى المقاومة ، وهذا النسيان مسألة غير مفهومة ، ما لم تربط بينه وبين الرقابة الشعورية ، ومن أقوى الدلائل على ذلك أن المباشرة على التحليل تؤدي في الغالب إلى تذكر ما يخيّل لنا أننا نسيناه من أجزاء الحلم ، وذلك عمل لا أنكر أنه شاق ، ويحتاج إلى مهارة ودراية وصبر ..

ولعل من المناسب أن أروى هنا حلما أوردته في كتاب

آخر من كتبي ، فقد أمكن تفسير هذا الحلم رغم ما اكتشفه من غموض بسبب النسيان :

— كنت أعالج مريضة كثيرة الحذر والشكوك ، واتفق لها أن حلمت حلما طويلا لم تذكر منه إلا أن شخصا ما حدثها عن كتابي في الفكاهة وقرظه تقريظا شديدا ، ثم عرض الحلم لموضوع « قناة » .. لم تتبين بالضبط أى « قناة » هى ، ولكن يبدو أن ذكرها جاء فى كتاب آخر من كتبي تعرض له الحلم ، بيد أنها ليست متأكدة لأن الموضوع كان يكتشفه الغموض ..

وكان المنتظر إلا يسفر موضوع هذه « القناة » المهمة عن أى تفسير ، لأنها منقطعة الصلة ببقية أجزاء الحلم ، والحقيقة أن المهمة صعبة ، ومصدر الصعوبة أن ذهن المريضة خال من أى شيء فيما يتعلق بموضوع القنوات ، وانقضى يوم ، وفى الجلسة التالية قالت لى المريضة أنها استطاعت أن تتذكر شيئا له علاقة بالقنوات ، وهو نادرة كانت قد رويت على مسمع منها ، فقد قيل أن سفينة كانت تعمل على الخط عبر القنال الأنجليزى أو بحر المانش فيما بين دوافر وكاليه .. وعلى سطح هذه السفينة التقى أديب مشهور مع مسافر انجليزى ، واثناء الحديث قال المؤلف تكتة يستفاد منها أن فرنسا رائعة وإن انجلترا سخيصة ومبتذلة ، وإن الفارق بين الروعة والابتذال مجرد قناة !

وربما خيل للبعض أن ذكر القناة فى هذا السياق لا يفيد فى التفسير ، ولكنى بالعكس أراه بداية خيط مفيد للغاية ، ومن هذه البداية ، بدأت أفتش عن المضمون الكامن لحلم تلك السيدة ..

وكثيرا ما يحدث أن نشرع فى التحليل والتفسير ، وإذا

بالحالم في منتصف الطريق يستوقفنا وقد انبثق في ذهنه
فجأة جزء من حلم كان قد نسيه في البداية ، ويتضح
فيما بعد أنه كان من صميم لباب الحلم .. ولذا انصببت
عليه مقاومة أشد مما انصب على بقية الأجزاء ..

وكثيرا ما مر بي في خبرتي ما يثبت أن نسيان الأحلام
مرتبط بقوة المقاومة الشعورية ، ومثال ذلك أن يقول
لى المريض :

— لقد رأيت بالأمس حلما يسد ابنى نسيته تمام
النسيان .. وليس في ذهنى منه أى أثر ..

ومعنى هذا أنه في موقف كمن لم ير ذلك الحلم إطلاقا ،
فأترك موضوع الحلم وأمضى معه في التحليل بعيدا عنه ..
فأجد منه مقاومة في بعض المواضع فأشجعه كي يتغلب
على تلك المقاومة ، وما أن يفلح في ذلك حتى يهتف :

— وهانذا أيضا قد تذكرت الآن حلمي !

ومعنى هذا أن نفس المقاومة التى أنسته الحلم هى التى
عرقلت التحليل منذ قليل ، فلما قهر هذه المقاومة
بالنسبة للتحليل انهارت أيضا بالنسبة للحلم ، فتذكره
بوضوح

وليس من النادر أيضا أن أستمع في جلسات التحليل
مع أحد الأشخاص .. ومتى أحرزت معه شيئا من
التقدم ، تذكر فجأة حلما رآه قبل أيام وكان قد نسيه
فور استيقاظه تمام النسيان ..

بل كثيرا ما يحدث أن أرى حلما في الليل ، فأستيقظ
في منتصف الليل وأنا أذكر الحلم تماما ، وأحرص على ألا
أنام ثانية قبل أن أفسر الحلم تفسيراً كاملاً ، وأوفق الى
ذلك فعلا ، ثم أنام ثانية .. وإذا بى أستيقظ في الصباح ،

فأجد أنني نسيت الحلم تمام النسيان ونسيت معه
التفسير الذي فسرتة ، ولا أذكر سوى أنني رأيت حلما ،
وأنني قمت بتفسير ذلك الحلم ، هذا مع أن ما بدلته من
نشاط ذهني في التفسير ليس جزءا من المنام بحيث
نستعين بدلالة نسيانه ، كما يؤثر بعض المؤلفين أن يفعلوا



الفصل السابع

أماليب تحقيق الرغبة • حمام مخوذجى



أساليب تحقيق الرغبة

ما من شك أن نظريتنا القائلة بأن الحلم إنما يرمى في خاتمة كل مطاف إلى تحقيق رغبة نظرية تقابل بصعوبات كثيرة تستحق منا أن نعالجها بأمان ..

والحلم الذي أوردناه فيما سبق من الطفل الميت الذي اشتعلت فيه النار ، إنما هو نموذج حسن لدراسة أوجه الاعتراض على نظريتنا ..

وإنه لما يشير الدهشة بلا شك أن يقال في البداية أن ذلك الحلم أيضا لا يعدو أن يكون هدفه الباطن تحقيق رغبة ، وإذا رجعنا إلى تعريف «أرسطو» للحلم ، وجدناه يقول على طريقته المشهورة أن الحلم هو تفكير الإنسان النائم من حيث هو نائم ..

والآن لنا أن نسأل : أن عقلنا في فترة اليقظة يقوم بعمليات كثيرة شديدة التنوع ، منها الاستنتاج ، ومنها الاستقراء ، ومنها الأقرار ، ومنها النفي ، وغير ذلك ، فلماذا يتقلص هذا النشاط كله أثناء النوم ، ولا يبقى مجال إلا لنوع واحد هو تحقيق الرغبة ؟ ..

وبماذا تفسر تلك الأحلام السكثيرة التي تصور لنا أنواعا متباينة من النشاط النفسي ، من قبيل الخوف أو القلق ؟ .. بل بماذا تفسر حلم الطفل الميت الذي شبت فيه النار ؟ .. السنا نقول أن وهج النار سطع من الباب المفتوح إلى جفني الأب النائم فتولد لديه قلق جعله

بتصور أن إحدى الشموع سقطت من موضعها ، وأنه
لعلها قد اشتعلت في أغطية الفراش ، وتولى الحلم اخراج
موقف بذلك المعنى يتخذ الابن أداة للشكوى ؟

كيف يمكن أن نسمى هذا الموقف تحقيق رغبة ؟ ..
ليس الأولى أن نسمى هذا نشاطا ذهنيا من نوع نشاط
اليقظة ، وإن نقول أن النشاط الذهني أثناء النوم
والحلم إنما هو امتداد لأنواع ذلك النشاط التي نمارسها
في النهار ؟ ..

وذلك كله حري أن يلزمنا بتعمق معاني تحقيق الرغبة
واساليب ذلك التحقيق وصلتها بما لافكار اليقظة من
آثار وذيول أثناء النوم

والإحلام على هذا الأساس نوعان : نوع يتضح منه
بلا خفاء أن الغرض هو تحقيق رغبة ، والنوع الآخر
يتخفى فيه تحقيق الرغبة جهد التخفي وبشئى وسائل
التقنع ، وفي هذا النوع يكون تأثير الرقابة الشعورية كبيرا
والنوع الأول له أمثلة وشواهد كثيرة من أحلام
الأطفال كما ذكرنا فيما سبق ، ويمكننا أن نتساءل عن
منشأ الرغبات التي يحققها الحلم ..

والرأى عندي أن هذه الرغبات لها ثلاثة مصادر :

١ - رغبة من رغبات اليقظة حالت الظروف دون
اشباعها أثناء النهار ، ومعنى هذا أن « تركة » ذلك
النهار التي آلت إلى الليل والنوم تحتوى على رغبة
صريحة تحتاج إلى اشباع

٢ - رغبة من رغبات النهار رفضت أو كبشت ، وبذلك
تظل في الحساب الختامى لذلك النهار لا باعتبار أنها
تحتاج إلى اشباع بل باعتبار أنها لا تستحق الاشباع

٣ - رغبة لم تظهر في النهار ، ولكنها من النوع الذى

يساورنا في الليل لأنها من النوع المتفق على أنه غير مشروع

فإذا كان لدينا في « جهازنا النفسي » ثلاث طبقات هي : الشعور أو الوعي ، ومن تحته ما قبل الشعور ، ومن تحت ما قبل الشعور اللاشعور .. فإنا نستطيع أن نحدد مواضع تلك الأنواع الثلاثة ، فنجد أن النوع الأول من الرغبات يستبقى فيما قبل الشعور حيث نبتت ، أما النوع الثاني من تلك الرغبات ، فإنها تنبت فيما قبل الشعور ولكنها تنبذ وتنفى إلى اللاشعور ، وأما النوع الثالث من تلك الرغبات فتنبت في اللاشعور ولا تخرج عن دائرته

وقد آن لنا أن نسأل : هل لهذه الرغبات الثلاث نفس القوة في تكوين الأحلام ؟

ويخيل إلى أنه يلحق بالمصادر الثلاثة السالفة الذكر مصدر رابع هو الاحتياجات الحيوية التي تظهر أثناء الليل مثل الشعور بالعطش أو الجوع أو البرد أو غير ذلك ..

وفي اعتقادي أن مصدر الرغبة ليس له شأن بقدرتها على أحداث الحلم .. والبرهنة على ذلك ، سنستعيد في مخيلتنا الصورة العامة لنماذج الأحلام التي أوردناها في الصفحات السابقة

أن الأطفال الذين يركبون الزورق لعبور البحيرة في النهار ، وتطيب لهم الرحلة ، يطلبون من أمهم تكرارها ، فتأبى عليهم ذلك وتستمهلهم إلى يوم آخر .. فرغبتهم لم تحقق ، ولم تكبت أو تقمع ، بل تأجلت ، ومع ذلك فعنهم من يحلم في تلك الليلة أن رغبته تحققت على صورة نزهة طويلة في الزورق

وهناك الرغبات التي تكبح أو تكبت أثناء النهار ، قد

أوردنا عليها من الأحلام أمثلة كثيرة .. وأضيف إليها نموذجاً شديداً الواضح ، وهو أن سيدة تتمتع بموهبة اللسان السليط كانت لها صاحبة أصغر منها تزوجت .. فظلت السيدة السليطة مشغولة بأشباع فضول المعارف الذين يسألونها عن خطيب صديقتها ، وعن رأيها فيه ، فتجيبهم بالثناء الخالص على شمائله وصفاته ، وتكتب رغبتها في التعريض به صراحة لأن رأيها فيه أنه نسخة من انداده ، أو « نمره » أو « رقم » لا يميزه عن سواه من الشبان أى مميز حاسم

فلما أوت هذه السيدة الى فراشها في الليل ، حلمت ان الناس يعيدون عليها أسئلتهم . وانها كانت تجيبهم بالصيغة المحفوظة التى تطبع على المكاتبات التجارية والمكتبية ، وهى :

— يكتفى بذكر الرقم عند الرد ..

وهو المانع كاف الى حقيقة رأيها فى ذلك الشاب ، وهو المانع لم يصل الى حد التصريح لأن كبت الرغبة فى النهار زج بها الى اللاشعور فلم تستطع الخروج منه الا متكررة تحت هذا القناع كى تغلت من سلطان الرقيب الشعورى

ومن هذا نترك ان لجميع الرغبات قوة واحدة على احداث الاحلام .. وكل ما هناك من تفاوت بينها هو فى الصراحة او التنكر او التشويه على حسب مدى خضوع مصدر الرغبة لسلطان الرقيب .. فما ينبع من اللاشعور يخضع للرقيب كل الخضوع ، وما لا ينبع من اللاشعور أى ينبع مما قبل الشعور لا يخضع للرقيب ذلك الخضوع ولكن لابد هنا ان نوضح نقطة دقيقة بعض الشيء ، هى الفرق بين رغبات الاطفال ورغبات البالغين .. فالطفل حين يحال بينه وبين رغبته بالتأجيل مثلاً أو

الارضاء من غير قمع أو نبد ، يحلم غالبا في اللبس بتحقيق تلك الرغبة تحقيقا فوريا ، أما الشخص البالغ فمن النادر أن يحلم بتحقيق رغبته التي حالت دونها الظروف في فترة النهار ، لان قوة تعلق الطفل برغباته شديدة جدا ليست تدانيها شدة تعلق البالغ برغباته .. وذلك لان الطفل لا يعترف أو لا يقتنع بأهمية الظروف التي تحول دون تحقيق رغبته فورا ، فيأتي الحائل من خارج تكوينه النفسي ، فليس يشغل تكوينه النفسي شيء سوى رغبته الشديدة ، أما البالغ فكلما تقدم في النضوج كان معنى ذلك ازدياد ادراكه وفهمه واقتناعه بالظروف الخارجية ، فيكون الارضاء أو يكون الحائل دون تحقيق الرغبة نتيجة اقتناع من داخل تكوينه النفسي ، وهذا الاقتناع يحد بطبيعة الحال من شدة الرغبة ، وقد يصل في اضعافها الى ما يشبه الالغاء من غير مقاومة تعقب صراعا ..

وانا لا أنكر أن البعض يكبرون في السن ، وتبقى لديهم سمات طفلية في بعض النواحي وبخصوص بعض الرغبات فيتشبهون بأشياء معينة يرى سواهم أنها لا تستحق كل ذلك التعلق المفرط أو المطلق

ورغم هذه الفروق الفردية بين الأشخاص الكبار أو البالغين ، فاني أعتقد عموما أن الرغبة التي لم تسمح الظروف بأشباعها نهارا لا تظل لدى البالغ شديدة الفاعلية بحيث تحتاج حتما الى حلم يتيح لها الأشباع في الليل .. ولكنني في الوقت نفسه أبادر فأعترف بأن بقايا تلك الرغبة قد تكون لها مساهمة ثانوية أو جانبية في أحداث الحلم ، فهذه الرقبة النابغة مما قبل الشعور لا تكفي وحدها لأحداث ما نسميه حلما ، بل لابد من عوامل أخرى لدى البالغين تتآزر مع الرغبة

أجل ان ما قبل الشعور ليس هو المصدر الاساسى لموضوعات الاحلام ، فذلك المصدر فى رأى هو اللاشعور ومعنى هذا ان الرغبات الشعورية التى استبقيت فيما قبل الشعور لا تحدث علما الا اذا استثارت لمؤازرتها رغبة مشابهة لها كامنة فى اللاشعور ..

ومن دراستى للرغبات اللاشعورية أثناء علاج المرضى بأمراض عصبية ، أستطيع القول بأن هذا النوع من الرغبات متحفز باستمرار للخروج من دائرة اللاشعور عند أول فرصة سانحة ، وهذا التحفز يعطيها قوة اندفاع ضخمة ، وهى مستعدة ان تعبر قوتها لطيفتها الرغبة الشعورية بحيث تتقنع متنكرة فى ثياب الرغبة الشعورية فما أشبه الرغبات الشعورية بالشياطين المحبوسة فى القمام فى أعماق البحر .. قد تظل مطمورة هناك أمدا طويلا جدا ، ولكنها لا تموت ، وعند أنفاس الفرص ، نجدها نفدت الى الخارج بكل جبروت العاصفة المألور عنها ..

وهذا يسوقنا الى تعبير آخر هو ان كل رغبة تتحقق فى الحلم إنما هى فى أساسها رغبة طفلية ، وهذه الرغبة تكون فى مرحلة الطفولة صادرة عما قبل الشعور ، لان ما قبل الشعور كاف كما ذكرنا لاحداث الاحلام لديهم ، أما عند البالغين فتكون هذه الرغبات قد تحولت الى اللاشعور وطمرت فيه بحيث تستثيرها رغبات حديثة عارضة

وليس جميع الناس سواسية فى قدرتهم على إيقاف نشاطهم الفكرى أثناء اليقظة .. فمن يستطيع ذلك الإيقاف هو احسن الناس نوما ، ولعل نابليون بونابرت هو خير مثال وعاء التاريخ لاولئك الممتازين فى اجادة النوم ، ولكن سواد الناس لا يوقفون اهتمامات النهار

تمام الإيقاف حينما ينامون ، فتظل الهموم والرغبات التي لم تتحقق والمشكلات التي لم تحل مسيطرة على أذهاننا بعد النوم عن طريق ما قبل الشعور ، وكل هذه منبهات ومثيرات يمكن أن تقسمها الى الانواع الآتية :

- ١ - ما حالت الظروف العارضة دون نجاحه
 - ٢ - ما عجز تفكيرنا عن إيجاد حل له
 - ٣ - ما استبعدناه أو كففناه بإرادتنا
 - ٤ - نزعات لا شعورية أثارها ما قبل الشعور
 - ٥ - خواطر تافهة رفض العقل أن يشغل نفسه بها كي يصل بها الى قرار واضح
- وأى نوع من هذه الانواع المتبقية من النشاط الذهني في النهار قد يظل ناشطا أثناء النوم يعمل جهده كي يأخذ مداه .. ولكنه لا يستطيع ذلك على المستوى الشعوري المألوف في اليقظة ، فلا يكون أمامه الا المستوى قبل الشعوري ، ففي هذا المستوى تتجمع الرغبات ذات التاريخ الشعوري المكفوف في النهار وتستعين بالرغبات الشعورية كي تستعيد حيويتها في احداث حلم يكفل لها ما حرمته من التحقيق

والآن نريد أن نعرف ماذا يفعل الحلم حين تكون هذه المشاغل المتبقية من النهار ذات طابع مقلق مؤلم مما يجعل مادتها غير متفقة مع سياسة تحقيق الرغبات .. ان الحلم في هذه الحالة يلجأ الى احدى طريقتين :

- ١ - يغير الحلم الافكار المؤلمة والمزعجة بأن يجرد صورها من الحالة الانفعالية الطبيعية المترنة بها ، فتأتي مناظر الحلم وكأنها اشباع كامل للرغبة لا يحتاج الى توضيح
- ٢ - لا يتمكن الحلم من تغيير الاشكال المؤلمة لشدةها كل التغيير بحيث تبقى لها في الحلم آثار واضحة ، وفي هذه

الحالة تنشأ صعوبة كبيرة في التسليم بأن الحلم تحقيق
رغبة ، لان المضمون المؤلم للحلم أوضح من أن ينكر ، وقد
يشعر الحالم بالآلم مقترنا بالصورة المؤلمة الى حد الارتياح ،
وفي أحيان أخرى تكون الصورة المؤلمة مقترنة بشعور محايد
خال من الآلم أو السرور ..

والأحلام التي من النوع الأخير هي أيضا في رأينا أحلام
تحقيق رغبة .. فمن الرغبات اللاشعورية ما لا يمكن
إشباعه عن طريق آلام مبرحة يستعيرها اللاشعور من
آثار أفكار ذلك النهار المقلقة أو الموجعة القائمة قبل
الشعور أو بضريبة يؤديها من الشعور بالندم أو الاستياء
لتحقق رغبة متنوعة مما يجعل نفس الحالم ميدان صراع
بين قوى اللذة المحرمة وقوة الرقابة الصارمة

ومن المناسب أن نضيف الى الأحلام التي تحقق
رغبة ، نوعا آخر اعترفنا به في الصفحة السابقة وهو
أحلام العقاب ، وإن كان البعض يظنون هذا النوع ناقضا
لنظرية تحقيق الرغبة ، فقد يكون مضمون الرغبة المكبوتة
هو أنزال العقاب بنفس الحالم لشعوره بالثم معين

ولكن الرقيب الذي يطالب بالعقاب مرتبط بالشعور ،
وهذا كفيلا أن يجرنا الى القول بأن الشعور ليس معزولا
في جميع الأحوال عن تكوين الحلم .. وهو قول غير دقيق
ان التضاد بين الرقيب والشيء المكبوت ليس بالضبط
هو التقابل بين الشعور واللاشعور ..

ان الأفضل أن نقول ان قوة « الانية » التي تشمل
الشعور واللاشعور معا هي التي تستخدم الرقيب
حارسا على الأشياء المكبوتة حتى لا تخرج من معتقلها ،
فيكون التقابل في حالة أحلام العقاب بين الأنا والشيء
المكبوت ، بحيث تكون رغبة العقاب رغبة صادرة عما قبل
الشعور وسببها « الانية » العليا للشخص ..

حلم نموذجى

وأجد من المناسب أن أضع أمام انظار القارىء حلما لى يتبين منه مشاغل النهار فى صور الحلم :

... فى بداية الحلم أخطر زوجتى أن لدى نيا خصوصيا جدا سيدخل السرور عليها ، فتفرع وتابى أن تصفى .. فأعود الى القول أن الثبا سار ، وأشرع فى الادلاء به ، فأبلغها أن الوحدة التى ينتمى اليها ولدنا فى الجيش بعثت بمبلغ ما ، لعله خمسة آلاف كراون .. ويتلو ذلك شيء عن نوط للجدارة .. وأجد نفسى صحبت زوجتى الى حجرة أخرى صغيرة بها أشياء مخزونة ، فنفتش هناك من شيء ما ، وأرى ابنى فجأة .. فاذا به ليس فى زيه العسكرى بل فى زى رياضى ملتصق بجسمه كأنه سبع البحر ، ويصعد فوق صندوق بجوار دولاب ، كمن يريد أن يضع فوقه شيئا ، وأناديه فلا يرد ، ويخيل الى أن على وجهه أو جبينه أربطة ، ويرفع شيئا الى فمه ، وقد ظهرت فى شعره بواذر مشيب ، وأتساءل وأنا فى الحلم : هل وصل به الاعياء الى هذا الحد ؟ .. هل فى فمه أسنان صناعية ؟ .. وأهم أن أناديه مرة أخرى ، ولكنى أستيقظ قبل ذلك وأنا لا أحس فزعا أو رعبا ، وإن كان قلبى يبدق بسرعة .. وأنظر فى الساعة فأجدها تشير الى منتصف الثالثة صباحا ..

وقد سبقتم هذا الحلم احساسات بالقلق فى اليوم السابق ، لأن ابننا الموجود فى خط النار كان قد انقطعت

رسائله وأخباره منذ أسبوع أو أكثر ، ومن الواضح أن
الحلم يتضمن إشارة الى احتمال أن يكون قد جرح أو
قتل ..

وفي الجزء الاول من هذا الحلم ، تلمس اتجاهها واضحا
لتبديل العناصر المؤلة بعناصر مضادة لها .. فأقول
لزوجتي أن عندي أبناء سارة تتعلق بوصول مبلغ من
النقود ونوط للجدارة ، بيد أن هذه المحاولات كلها باءت
بالفشل .. فما هي زوجتي تشعر لأول وهلة أن أنبائي
المفرحة إنما هي أخبار تشفق من سماعها ، وتحاول ألا
تسمع ما أقول .. فكان التنكر الذي اتخذته حقيقة النبا
كان شفافا بحيث يشي بالحقيقة الموهمة ، فان وفاة
الضابط المحارب هو الذي يقترون بارسال متروكاته الى
اسرته ، وأما نوط الجدارة ، فيمنح عادة لمن يستشهدون
في ساحة الشرف .. وهذه كلها دلائل تفضح الواقع
المكروه ! ..

ولم يستطع تحقيق الرغبة في هذا الجزء من الحلم إلا
القيام بمحاولات هزيلة لابتدال القلق بعكسه ، وإن كنت
لا أدري بالضبط ما الذي منح أفكاري السوداء وقلقى في
النهار كل تلك القدرة على الأعراب عن نفسها أثناء النوم
وفي الجزء التالي من الحلم ، تزداد محاولات التغيير
والتبديل .. فأرى ابني في تلك الحجرة الأخرى ، ولكني
لا أراه وهو يسقط بل أراه وهو يرتفع ، وهذا مقترون
بحقيقة عن ابني ، فقد كان بارعا في تسلق الجبال ..
ولعل هذا هو السبب في ظهوره بملابس الرياضة ! ..
وكأنني بالحلم يحاول أن يغير الحقيقة المؤلة ، فيصور
ابني لي في رحلة رياضية لا في خط النار .. ويشير الى
ما أصابه من قبل في تسلق الجبال من وقوع أدى الى كسر
ساقه ، وكان ذلك إشارة الى أن القلق في هذه المرة

سيتمخض عن شيء حين كالمرة الاولى ..
واما ان ابني كان يصعد فوق صندوق ليضع شيئا
على الدولاب في حجرة الخزين الصغيرة ، فهو اشارة لا
لبس فيها الى مغامرة قمت بها شخصيا وانا في العاشم
الثالث من عمري تقريبا لتصل يدي الى شيء مفر في مكان
عال .. فوقعت وارتطمت بزاوية من زوايا الاثاث فوق
فكي الايسر ، ولو كانت لي اسننان لسقطت من اثر
الصدمة ..

ولا تخلو هذه الصورة لابني من نوع من العقاب أو
التشفي ، كأي أوبخه على رعونته .. وتعليل ذلك بلا
شك هو ما في نفوس الكبار من حسد للشبان !
وليس معنى هذا أن الباعث على الحلم هو تحقيق
رغبة الحسد أو التشفي — المكبوتة في اللاشعور — عند
كل متقدم في السن ، بل أن رغبتي الحقيقية هي التخلص
من القلق الاليم على مصير ولدي .. فاتخذ الحلم من تلك
الرغبة المكبوتة في التشفي قوة دافعة للتغطية على ذلك
الشعور الاليم



ومن المستحسن ، على ضوء ما تقدم ، أن أوضح الدور
الذي تؤديه الرغبات اللاشعورية في أحداث الأحلام ..
فأنا لا أنفي أن هناك أحلاما بأسرها يكون الدافع اليها
عموما أو كلية آثار متخلقة من مشاغل النهار السابق ،
ولكني أقول أنه في الغالب لا تتوفر لمشاغل النهار
السابق قوة كافية لصياغة حلم كامل ، فتستمر هذه
المشاغل رغبة لا شعورية ، هي بلا شك قوية لأنها
لا شعورية ، فيتحالف معها لتكوين الحلم المطلوب . وذلك
أشبه بشخص أمامه فاية بعيدة ، وقدماه أضعف من أن
تحملاه الى هناك ، فيمتطي حمارا أو أي دابة قادرة على

مشاق السير ليصلا معا الى الموضع الذى يعجز بمفرده
عن الوصول اليه !

وبعبارة أخرى ، يمكن أن نقول أن مشاغل النهار
تقوم بدور صاحب الفكرة في عمل ما ، ولكنه صاحب
فكرة خالى الوفاض ، فلا بد له من شخص غنى يمدّه
برأس المال ويكون شريكه في ذلك المشروع ، وهذا الممول
الغنى بالنسبة للحلم ، يكون دائما رغبة مكبوتة في
اللاشعور

ولكن من الجائز أن يكون الممول الغنى هو في نفس
الوقت صاحب الفكرة ، وفي هذه الحالة يكون الحلم هو
تحقيق رغبة لاشعورية اثارها حادث عرضي من حوادث
اليوم السابق

واذا تمسكنا بتشبيه الممول الغنى الذى جعلناه رمزا
للرغبة اللاشعورية ، نجد أن الحلم قد تتحقق فيه أى
صورة من صور الاستثمار المالى . . فقد يكون الممول
مساهما بجزء من رأس المال اذا كان صاحب الفكرة
الاصلى يملك الجزء الآخر من المبلغ اللازم ، وقد يقوم
الممول الواحد بتمويل عدة مشروعات صغيرة في وقت
واحد ، أو قد يقوم عدد من الممولين بالمساهمة في مشروع
واحد كبير . .

وعلى هذا الأساس ، قد نجد في حلم واحد تحقيقا لعدة
رغبات في صور كثيرة متفرقة أو في صورة واحدة
متداخلة . .

ان احداث اليوم السابق لها في جميع الاحوال دور
لا غنى عنه في احداث الحلم ، وهذا الدور ، في كثير من
الاحوال ، يكون غير كاف للقيام وحده بتكوين الحلم . .
ولكن الحلم لا يتكون في الغالب الا ان لم يكن ثمة
ما يثيره من هذه الاحداث . .

ومعنى هذا أن جميع الاحلام — فيما اعتقد — لا بد أن تكون فيها صلة بشيء حدث في اليوم السابق ، حتى ولو كان هذا الحدث قليل الأهمية جدا .. بحيث يحار الإنسان في مبلغ لزوم هذا الشيء التافه لاحداث حلم قد يكون ضخما أو معقدا

أن الرغبة المكبوتة في اللاشعور — مهما كانت قوتها — في حد ذاتها عاجزة تمام العجز عن دخول دائرة الشعور أو الوعي بصفتها الذاتية ، فلا بد لها من التلبس أو التحالف مع ذكرى موجودة فيما قبل الشعور تتخذها أداة للوصول الى الشعور ، وهذه الذكرى « قبل الشعورية » تكون دائما بقية من مشاغل الفترة الحديثة من فترات اليقظة ..

وتلجأ الرغبة اللاشعورية المكبوتة الى عملية أخرى من العمليات المصرفية ، هي عملية « تحويل الرصيد » ، أى أن الرغبة اللاشعورية تحول الى الفكرة « قبل الشعورية » الحديثة العهد قوتها الدافعة وشدتها المكتومة ومن يدرسون حيساسة المرضى بأمراض عصبية وسلوكهم ، سيجدون في عملية التحويل هذه تفسيرا طريفا جدا لعدد كبير من التصرفات الغريبة التى كانت تبسود لأول وهلة غير مفهومة

ومما يلاحظ أن الفكرة « قبل الشعورية » التى تتحول اليها شدة الرغبة اللاشعورية قد لا تتحمل أو تتجشم أى تفسير في ظاهرها أو تحريف في حقيقتها عندما تظهر في الحلم ، ولكنها في أحيان أخرى قد تتعرض للتحويل كى تتناسب مع الطاقة الجديدة التى حصلت عليها من غير وجه استحقاق

وأستطيع القارىء علما في أن الجأ الى تشبيه من حياتنا الجارية لتوضيح الموقف .. أن الرغبة اللاشعورية

أشبه بطبيب أسنان حائز على شهادة طبية أجنبية من جامعة غير معترف بها .. فهذا الطبيب لا يستطيع أن يمارس مهنته إلا إذا تستر تحت اسم طبيب مرخص له رسميا بالعمل في البلاد ..

وكلنا نعلم أن الطبيب الناجح لا يمكن أن يعبر اسمه ستارا لمثل ذلك النوع من الأطباء غير القانونيين ، فعلى مثل ذلك الطبيب أن يبحث له عن طبيب قانوني فاشل أو خامل الشأن ، فيصل معه إلى اتفاق معقول .. !

وبالمثل فإن الرغبة اللاشعورية غير المصرح لها بالظهور على مسرح الشعور — أو ما قبل الشعور — بصفتها الشخصية .. تبحث عن رغبة أو فكرة مصرح لها بالوجود فيما قبل الشعور ، وبطبيعة الحال لا تطمع في التحالف مع فكرة ذات شأن ، أو لديها فرص قوية للتحقق ، بل تجد ضالتها المنشودة في الأفكار التافهة التي لا تجسد بمفردها مجالا للعمل وتحقيق ذاتها ..

وهذا هو السبب في أن الرغبات اللاشعورية تتخبر ستارا لها في تكوين الأحلام أحيانا عرضية تافهة جدا في كثير من الأحيان مما حدث في اليوم السابق أو في الفترة الأخيرة ..

والخلاصة أنه ما من حلم نقوم بتحليله إلا ونخرج من هذا التحليل بخاطر من الخواطر الحديثة العهد بالوعي أو الشعور ، وغالبا ما يكون هذا الخاطر تافها أو منبوذا وثمة سبب آخر لسهولة استخدام هذه التوافه في تكوين الأحلام ، فأنها بسبب تافهتها لا تثير ريبة الرقيب الشعوري ، فلا تلقى أدنى مقاومة ..

وينبغي ألا ننسى أن الخواطر التافهة الحديثة العهد ، تكون غالبا خالية من الارتباط بسائر الخواطر في الدهن ،

فيسهل على الرغبة اللاشعورية التحالف مع هذا الخاطر
المنعزل الخفيف الحركة الذي لا تثقله علاقات ترابط أو
تداعى كثيرة

ومن هنا ندرك أن الذكريات الحديثة التافهة لا غنى
عنها لاجداث الاحلام ، وكما أنها تستمد من الرغبات
اللاشعورية شدتها وأهميتها ، فهي تمد تلك الرغبات
بما تتمتع به من تفاعلة لها أهميتها لتتمكن الحلم من
الحدوث على مسرح الشعور وما قبل الشعور



الفصل الثامن

تطور الجراح النفسي • لماذا يوقظنا الحلم؟
الكبت • من اللا شعور إلى الواقع



تطور الجهاز النفسى

ولا مناص قبل أن نمضى قدما فى هذه الصفحات ان نتحدث عن أطوار « الجهاز النفسى » .. فهذا الجهاز انما وصل الى كيانه القائم بعد تطور فى مراحل النمو . فليكن هدفنا الآن هو تصور « الجهاز النفسى » فى بعض أطواره السابقة ..

المفروض أن « الجهاز النفسى » فيما مضى كان هدفه الاول هو الوقاية من المؤثرات ما وسعه ذلك ، ولذا اجتهد أن يتخلص من أى إثارة حسية تأتية من الخارج ، بيد أن استخدام « الجهاز النفسى » فى وظائف الحياة الأخرى حتمت أن يقوم هذا الجهاز بتحويل عمله ، فاذا أحس الرضيع بالجوع ولم يستطع تفرغ هذا الإحساس بحركات الحصول على الطعام مباشرة لجأ الى ما يسمى « التعبير الانفعالى » فيصيح معبرا عن جوعه وحاجته الى الطعام ، ولكن هذا « التعبير الانفعالى » ليس هو الفرض الأساسى من الاثارة الحادثة فى « الجهاز النفسى » لان الفرض الأساسى هو اشباع الرغبة أو الحاجة موضوع الانفعال ..

والملاحظ أن كل تهيج انفعالى يقترون فى « الجهاز النفسى » بذكرى اشباع سابق للحاجة القائمة ، فذكرى خبرة الشبع تقترون مع تهيج الإحساس بالجوع ، ويكون الفرض الأساسى لهذا الانفعال هو تجديد تلك الذكرى بحقيقة واقعية بقدر الامكان، والاندفاع نحو هذا التجديد

هو الرغبة ، والتجديد نفسه هو تحقيق الرغبة ، ويتم تحقيق الرغبة واقعياً في حالة اليقظة ، وعند العجز عن ذلك لسبب من الاسباب يقوم الحلم بتقديم المسرح اللازم لتحقيقها !

وليس هناك ما يمنع من الاعتقاد بأن « الجهاز النفسى » في مراحله السابقة كان يرد على هياج الرغبة باشباع ذاتى وهمى قبل التحقيق الفعلى لتلك الرغبة ، ومعنى هذا أن ما يحدث في الحلم الآن من تحقيق الرغبة كان يحدث في مرحلة سابقة من مراحل التطور أثناء اليقظة العادية

ويبدو أن حدوث الاشباع الإدراكى عن طريق التصور وحده قد أثبت فشله ، بحيث اختزلت هذه المرحلة المضللة ، وصار الغرض من التعبير عن الرغبة والوصول الى اشباع فعلى أو تحقيق واقعى لا مجرد التحقيق الإدراكى أو التخيلى .. فعندما لا تجد الرغبة طريقها مفتوحاً الى التحقيق الواقعى للتمسك بالمرجع الآخر الممكن وهو الحلم

ومن هنا يحق لنا أن نقول أن الحلم هو محاولة لتحقيق رغبة على نحو ما .. فما من قوة تستطيع تشفىـل « جهازنا النفسى » سوى الشهور برغبة ..

وبتعبير آخر ، يعتبر الحلم وسيلة أولية منقرضة كانه يوماً ما جزءاً من الواقع الفعلى لحياة اليقظة عندما كا التكوين النفسى للبشر أكثر بدائية وسذاجة .. فما أشب ظهور منهج الحلم فى التحقيق الإدراكى أو الذاتى للرغبة أثناء النوم بما نشاهده من ظهور أدوات الحرب البدائية المهجورة التى تجاوز الراشدون مرحلتها فاذا بها موضع الحفاوة فى حجرات الاطفال ، لأنها الأدوات الوحيدة المتاحة لهؤلاء الصغار مما استغنى الكبار عن استعماله ،

كالاقواس ، والسهام ، والنبال ، وغير ذلك
والحلم ، على هذا الاساس ، هو رجوع الى مرحلة
طفلية من الحياة النفسية للبشر ، ويؤيد هذا الافتراض
ان المرضى بأمراض عصبية يحدث لديهم تكوص أو ارتداد
الى مراحل سابقة من النمو النفسى .. فاذا بتحقيق
الرغبة الادراكى أو الذاتى غير المرتبط بالواقع يبدو في
يقظته ، ويعيشون به أو يعيشون عليه بنفس الطريقة
التي يتوهم الاصحاء بها أنهم ظفروا بتحقيق رغباتهم
وهم نيام

وغنى عن البيان ان الرغبات اللاشعورية لا تبقى اثناء
النهار مستسلمة للعجز والخمول ، بل ان قوتها لا تكف
عن النشاط .. وكلما وجدت منفذا الى ما قبل الشعور ،
ثم الشعور ، لم تتردد في المرور منه ولو عن طريق
« التحويل »

والتحويل كما سبق القول عملية شبيهة بعملية
تحويل رصيد النقود من شخص الى شخص آخر ، فاذا
بطاقة الرغبة اللاشعورية الممنوعة وقد تحولت الى رغبة
أخرى مسموح بها أو شبه مسموح بها .. يتم عن طريقها
تحول التيار الاندفاعى من اعماق اللاشعور الى المجال
الشعورى والحركى في موضع يبدو للنظرة السطحية انه
لا يستحق كل هذه الحماسة وهذا العنف

ان الذى لديه طاقة لا شعورية عنيفة مكفوفة أو
مكبوتة ، ينتهز فرصة أى عمل يستطيع القيام به فيصرف
فيه طاقته المكبوتة ، وعندئذ يقول التعبير الدارج فى شيء
كثير من القطنه ان ذلك الشخص ينفس عن همه بذلك
العمل ..

ولعل هذا هو السبب فى ان المرضى بأمراض عصبية
والمجانين يلاحظ عليهم العامة قوة غير منتظرة فى أداء

أبسط الحركات ، وحرارة غير متناسبة مع المناسبات
الظاهرة ..

ومن هنا ندرك الأهمية الكبيرة لجهاز الرقابة
الشعورى أو الواعى ، لأن هذه الرقابة هى التى تمنع
الرغبات اللاشعورية من الوصول الى السيطرة على
الجهاز الحركى للشعور ، ففي أثناء النوم تحتل الرغبات
اللاشعورية - كما قلنا سابقا - وتحول شدتها الى خاطر
من خواطر ما قبل الشعور كى تظفر بتحقيق صورى فى
الحلم ، ولكن الرقيب عند النوم يخلق الباب بالمفتاح على
الجهاز الحركى ، فلا تستطيع هذه الصور عند الاصحاء أن
تتحول الى تحقيق فعلى عن طريق الحركة ..

وهكذا يكون جهاز الرقابة بمثابة صمام الأمان الذى
يحول بين الرغبات الممنوعة والتحقق الفعلى أو العملى ،
ولا يترك لها أثناء النوم إلا التنفيذ الإدراكى الذى لا ضرر
منه ..

إن الرقيب هو « الديديان » القائم على صيانة
سلامتنا العقلية بهذا الأسلوب المشار اليه آنفا ، وقد
يكون من الطبيعى أن يظفر هذا « الديديان » بشيء من
الاسترخاء والراحة مدة النوم ، وهذه هى الفرصة التى
تنتهزها الرغبات اللاشعورية ، فإن هذا لا يحدث إلا بعد
اتخاذ الاحتياطات التى ذكرناها .. فتظل هذه الرغبات
مهما عربت فى حدود التصورات الخفية عاجزة عن
النفاذ الى عالم الواقع العملى ، لأن الجهاز الحركى فى أمان
من يدها .. فلا بأس من ترك الحبل لها على غاربه بعض
الوقت ما دامت منافذ مواطن الخطر فى أمان تام من عبثها
وهذا هو الفرق بين نوم الاصحاء ويقظة المرضى
العصبيين أو العقلين .. فالاصحاء يفقو جهاز الرقابة
عندهم بعض الإغفاء ، وقد احتاط قبل غفوته فأقفل باب

الجهاز الحركى حتى لا تعيث به الرغبات اللاشعورية المريدة ، ولكن المريض العصبى أو العقلى يغفل الرقيب لديه عن ذلك الاحتياط ، أو يعجز عنه ، فلا يحمى الجهاز الحركى من سلطان الرغبات المتسربة من اللاشعور فى الأحلام ، فلا يتخيل تحقيق رغبتة فحسب فى شكل صور ، بل ويحاول فرض ذلك التحقيق على الواقع فى شكل حركات وأفعال ، أى فى شكل سلوك !

ان العامل الاساسى فى حالة الحلم هو سيطرة «الرغبة فى النوم» على الرقيب الشعورى ، وهذه الرغبة أو الحاجة الى النوم تقترن باغلاق طريق الجهاز الحركى الشعورى مع شئ من التهاون فى مراقبة محتويات ما قبل الشعور ، وكما ينام القبط فتخرج الفيران من الشقوق والجحور ، كذلك تتسلل الرغبات اللاشعورية المكبوتة عندما ينام الرقيب بعض النوم ، وهى تعلم جيداً انه لا ينام مائة فى المائة ، ولذلك لا تجترىء على الخروج سافرة بل تتخذ أقنعة من محتويات ما قبل الشعور كى تمر أمام الرقيب الوشان ..

وهى اذ تخرج الى المسرح تجد أجهزة الاعمال والحركة بعيدة عن متناول يدها ، فلا تملك الا الصور البصرية .. وهذه - كما قلنا - لا ضرر منها فى حشد ذاتها ، فلا تستحق منا عناء البقاء متيقظين تماماً لمنعها من الحدوث وسنحاول هنا أن نوضح أهمية عامل الرغبة فى النوم أو الحاجة الى النوم .. فنشير الى حلم سبق أن تحدثنا فى تحليله ، وهو حلم الوالد الذى رأى فى المنام ابنه المتوفى ينبهه الى اشتعال النار فيه .. وكان الباب بين غرفة الأب وغرفة الميت مفتوحاً ..

ان وهج النار من الحجرة الاخرى سقط على جفون الأب النائم ، فاستدل من ذلك رغم نومه أن النسيم

اشتملت في جثمان طفله ، وصور الحلم صسورا تتفق مع هذا المعنى ، وقلنا ان هذه الصور كانت تهدف الى اطالة عمر الطفل ، فتحقق بذلك رغبة قوية لدى الخالم ، وتقول هنا انه كانت الى جوار تلك الرغبة رغبة أساسية أخرى بلا شك هي رغبة الاب في النوم نتيجة حاجته الشديدة للراحة بعد طول السهر والتمريض ، ولا سيما بعد أن وضع موت الطفل حدا لكل جدوى من السهر بعد ذلك وهكذا نرى أن الحلم الذي رآه ذلك الاب كان يوفق بين تحقيق رغبتين شديديتين معا ، رغبة يوافق عليها الرقيب كلية وهي اطالة فترة النوم ، ورغبة أخرى هي اطالة عمر الابن أو افتراض أنه لم يزل حيا في زمن ذلك الحلم على الأقل . . . وكان الرقيب إذ سمح بهذا الحلم يقول لنفسه :

— خير لك أن تسمح لهذا الحلم بالحدوث — على هذا الوجه — حتى لا تضطر للاستيقاظ فورا والتخلي عن نومك في الحال للبحث عن أسباب ذلك الوهج في الحجرة الأخرى

وإذا دققنا النظر في جميع الأحلام ، وجدنا أن الرغبة في النوم أو الاستمرار فيه مشتركة في جميع الأحلام ، وتبدو هذه الرغبة انشط ما تكون في جميع الأحلام ، قبيل لحظة الاستيقاظ . . . فإذا بجميع التأثيرات الخارجية الواقعية كالاصوات ورنين جرس المنبه والنداءات وقد تحولت الى عناصر متوافقة داخل حلم ، الفرض منه صرف الذهن عن جدية هذه التنبيهات الخارجية ، وتحويلها الى عوامل من شأنها اطالة فترة النوم . . . وهكذا تتحول هذه التنبيهات من مذكر بالعالم الواقعي الخارجى ، أو عالم اليقظة ، الى جزء داخل في نسيج الحلم أو عالم النوم

وهناك ناحية أخرى يبدو فيها واضحاً تأثير عامل الرغبة في النوم أو الرغبة في استمرار النوم .. وذلك عندما يتجاوز الحلم كل حد معقول في تحقيق الرغبة أو التشويه الذي يستعين به لتحقيق الرغبة .. فيتململ الرقيب ، ويهم أن يفرك عينيه ويصحو ليطرد هــسده الفيران العابثة الى جحورها .. وإذا بشيء يقول له :

— لا داعى لليقظة وحرمان نفسك من النوم ، فانت تعلم ان هذه مجرد أحلام لا خطر حقيقى منها مهما بلغ من أمرها !

وهذا يسوقنى الى نتيجة هامة :

— اذا كنا ندرى أننا نائمون ، فنحن ندرى بمثل تلك القوة أننا نحلم .. ونحن نستسلم للحلم ، أو نسلم به ، مثلاً نسلم بالنوم ونستسلم له

وتتفاوت درجات هذا الاحساس بالنوم والحلم لدى الأفراد ، فهناك أشخاص يحسون بوضوح أنهم في حالة نوم وفي حالة حلم .. ولذلك يستطيع هؤلاء الأشخاص التصرف في أحلامهم كما يتصرف السائق في توجيهه سيارته ، فالحالم منهم إذا لم يعجبه اتجاه أحد الأحلام ، وضع له حداً من غير أن يخرج من سباته .. وشرع في تكملة له أكثر اتفاقاً مع أهوائه ، فما أشبه هذا بالمؤلف الذى لا تعجبه نهاية مسرحيته ، أو يجد أنها لا تجد هوى لدى الجمهور ، فيحذف الفصل الختامى وينسج خيوط فصل جديد بكل سرعة ولباقة ..

وليس من النادر أن يجد الأشخاص من هذا النوع أنفسهم في مواقف غرامية أو جنسية أثناء الحلم . وحين يصل الحلم الى نقطة حرجة يشعرون ان من اللائق صرف أنفسهم عن تيمة الموقف مدركين أنه مجرد حلم ، ومنهم

من يحدث منه العكس .. فاذا لام نفسه أثناء الحلم على
تصرف ، صرف هذا اللام قائلا :

— أنا أعلم أن هذا مجرد حلم .. لا خرج على من اللهو
وقضاء اللبانة في حلم لا ضرر منه على أحد

والعجيب أن الرغبة في النوم تتوافق مع الرغبة في
تحقيق الأهواء ، ولكن من جهة أخرى نجد الرغبة « قبل
الشعورية » في النوم لدى الأم مشروطة بقيد هو عدم
يقظة الطفل الرضيع أو المريض ، وقد تعجز أشد
الاصوات القريبة عن إيقاظ تلك الأم ، وإن سببت لها
أحلاما تساعد على إطالة نومها وتجاهل تلك المنبهات
الاجنبية أرضاء للرغبة « قبل الشعورية » في التمتع بالنوم
أطول مدة ممكنة ، ولكن أقل حركة خافتة من طفلها
بالدات تكفى لإيقاظها فورا ، لأن هذا الإيقاظ يأتي متفقا
مع رغبتها « قبل الشعورية » في النوم اتفاقا عن رضاء
تام من الطرفين .. والحارس على هذا الاتفاق هو الرقيب
الشعوري أو « الانية » للأم

٢

لماذا يوقفنا الحلم ؟

ان أهم ما يشغل ما قبل الشعور في الليل ، هو الرغبة في النوم أو الاستمرار فيه ، وعلى هذا الأساس نستطيع ان نفهم ما يحدث عند تكوين الاحلام بصورة اوضح .. وتوطئة لهذا تلخص ما حصلنا عليه من معلومات في ان رواسب احداث اليوم السابق التي لم تفز باهتماما أثناء اليقظة تبقى فيما قبل الشعور ، هي وبقايا ما اثاره نشاطنا اليومي من رغبات لاشعورية مكبوتة ، وعند النوم يتلاقى على الحدود الفاصلة بين اللاشعور وما قبل الشعور ما أثير من الرغبات وما أهمل من الخواطر والافكار النهارية ..

وفي غيبة الرقيب ايضا ، تعمل الرغبات اللاشعورية المكبوتة أو المستثارة على تحويل طاقاتها الكبيرة الى بقايا النشاط النهاري المهملة ، والمرجح الا يحدث هذا التحويل الا بعد الاستغراق تماما في النوم ..

وبعد حدوث التحويل ، تنجس الطاقة الجديدة الى مجال الشعور نفسه مختزنة كل طبقات ما قبل الشعور ، وعند الحدود الفاصلة بين ما قبل الشعور والشعور يربض « الديديبان » الرقيب ، وهو أمين جدا في عمله ، ولذلك لا ينام بحواسه كلها ، ولذلك أيضا تعتمد الطاقة المتسللة الى الكثير من التنكر أو عمليات التشويه ، فتصير هذه الطاقة قوة مندفعة ذات واجهة مشوهة ، وتستثير من الذكريات المقترنة بمظهرها الجديد المشوه صوراً كثيرة

من مخزونات الذاكرة تساعدنا على أعمال التصوير
البصرى التى نسميها باسم الحلم ..

ويزعم «جوبلو» أن الحلم لا يتراعى للنائم الا فى الفترة
التي تقع بين التهيؤ لليقظة وبين اليقظة ذاتها ، وبعبارة
اخرى أن الحلم يمثل مرحلة « احتضار » النوم ، وهى
مرحلة غالبا ما تكون قصيرة جدا .. ولان صورة الحلم
كانت واضحة وقوية نتوهم أن الحلم هو الذى ايقظنا ، مع
ان العكس هو الصحيح .. أى أن استعدادنا لليقظة هو
الذى جعل صورة الحلم تبدو قوية واضحة ، فليس الحلم
فى نظر « جوبلو » الا افتتاحية يقظة ، أو المدخل الى
اليقظة ..

ولكن من المعروف للناس جميعا أن هناك أحلاما
لا تعقبها اليقظة ، ومن هذه الأحلام بالتأكيد تلك الرؤى
التي يعلم الحالم فيها أثناء الحلم أنه يحلم ، أى أنه نائم ،
ثم يستمر فى حلمه أو ينتهى منه ويظل نائما ..

اننى لا أستطيع أن أقر « جوبلو » على رأيه ، فخيرتى
فى الأحلام ، ومجموع نظريتى لا يتفق مع القول بأن الحلم
لا يشغل الا فترة التهيؤ للاستيقاظ

انى على العكس أرى أن الحلم يبدأ قبل النوم ، أى
أن جذور الحلم ومقدماته تقع فى صميم حياتنا النفسية
ونشاطنا النفسى وجهازنا النفسى أثناء اليقظة ، وأما الجزء
الظاهر من الحلم ، أو المرحلة التنفيذية من الحلم التى هى
بمثابة الثمرة من نبات له فروع وأصول وجذور ،
فيستغرق حدوثه معظم فترة الليل أو كلها ، ولذلك
فنحن نرى أن الذى يقرر بعد يقظته أنه ظل يحلم طول
الليل محقق فى احساسه هذا وليس واهما ، حتى ولو لم
يستطع ذلك الشخص أن يتذكر موضوع أحلامه

وعلى ضوء تجربتى الشخصية ، أستطيع أن أقرر بغاية

الطمأنينة ان الاستعداد للحلم قد يستغرق جملة ايام وليال ، وفي هذا ما يفسر لنا البراعة والدقة والغنى التي تمتاز بها الكثرة الغالبة من مشاهد احلامنا ..
ان الاحلام التي نراها أشبه بالالعب النارية والصواريخ التي يحتاج اعدادها الى جهد كثير ووقت طويل ، وان كان اطلاقها وظهورها في عنان الجو لا يستغرق الا بضع ثوان !

ولكن هذا لا يقلل من اهتمامنا النظري بتلك الاحلام التي تتسبب في قطع نومنا بشسدة ، فمعنى ذلك القطع للنوم ان الرغبة اللاشعورية أوتيت وقتئذ من القوة ما تغلبت به على الرغبة قبل الشسـعورية التي تتركز في الاستمرار في النوم ، ولكن اليقظة في الغالب يعقبها رجوع الى حالة النوم بسرعة ، شان من يقطع تيسار مشاهدذه الذهنية ليدب حشرة حطت على طرف أنفه ثم يعود الى سياق أفكاره من جديد ..

فاذا راعينا هذا كله ، وجدنا ان الاوفق للصحة العقلية هو ترك الرغبات الشعورية تنفس عن شدتها أثناء الحلم ، ولو أدى ذلك الى ازعاج رغبتنا في استمرار النوم ، وتنبيه الرقيب بفراط عربدتها أو عنفها .. فذلك أدمى للراحة النفسية من مداومة التيقظ للمكبوتات ليل نهار ، فلا تقل خدتها وتظل شدتها تقلقنا وتندود عنا الراحة

الكبت

اننا نعتقد أن من وظائف الحلم بلا شك أن يقوم بعمل صمام الامان في التنفيس عن الشحشات الزائدة عن الحاجة ، وما اكثر الاشياء الضساسة التي تتجرد من ضراوتها وسمومها بعد أن تتناولها الاحلام بالتعبير والتصوير ، ونعتقد كذلك أن نفوسنا في الحلم ترتد عن كمالها الراهن ودقتها في التنظيم والكف الى مرحلة بدائية تبدو فيها اقرب الى وسائل الطفولة التي ينقصها الاحكام ، ولولا الرغبات المكبوتة والمكبوحة لما تيسرت القوة الدافعة التي تكفى لاحداث الاحلام ..

وقد اتضح مما سبق أن الحلم يتناول بعض الاحداث التي تبقت من نشاطنا اليومي، فيستخدمها كما يستخدم عامل المطبعة الحروف المتناثرة ليؤلف منها وحدة متكاملة وليس من الضروري أن يتم هذا التأليف أثناء النوم ، بل ليس ما يمنع أن يكون هناك تيار فيما قبل الشعور لا نعينه أثناء اليقظة يجمع تلك الشتمات ويداول بينها حتى اذا حانت ساعة النوم بدأ العرض السحري . فما اشبه ذلك بالاعمال المتنوعة الشاقة البارة التي تجرى طوال النهار في مطابخ بيوتنا ونحن لا نشعر .. حتى اذا دق ناقوس الطعام وجدنا على المائدة صحافا متعددة الالوان واننا لنخرج من هذا بفكرة بالغة الاعمية هي ان من اوجه النشاط الفكرى الشديدة التعقيد ما يمكن أن

يجرى بمعزل عن الشعور التام وبغير اسهام منه ..
ولكن هذه العزلة في التجميع والتأليف لا تعنى ان
المادة المجمعة المركبة من رواسب الشعور في مجال ما
قبل الشعور ممنوع عليها ان تخترق النطاق الى مجال
الشعور نفسه ، ولا بد من البحث عن سبب كاف لبقاء
هذه الافكار قبل الشعورية بعيدا عن مسرح الشعور
اثناء اليقظة ..

ان هذا السبب المباشر الذى يمنع تلك الافكار او
المكونات الخلمية من ان تلج الشعور في حال اليقظة هو
« الانتباه » .. فالانتباه مثل شعاع الضوء لا يسقط الا
على بقعة محددة يتوجه اليها

ومن شأن الانتباه حين يسقط شعاعه على فكرة او
خاطرة ضعيفة او واهية هزيلة لا يمكن الدفاع عنها ، ان
يتحول الى اخرى يبحث عنها .. ويسقط الخاطرة
الاولى من حسابه ، شأنه في ذلك شأن من يبحث عن
اللالء ، فكلما وجد محارة خاوية نبذها ولم يعلق بها
اهتمامه ، ولكن المحارات المتبوذة لانها فارغة لا تحمى
من الوجود لمجرد انها سقطت من حساب صائد اللالء
ولذلك قد يحدث ان تتجمع المحارات الفارغة (اى
الخواطر الضعيفة المتهافنة) وتكون فيما بينها كومة او
جبهة ، وهذه الكومة او الجبهة لا يمكن ان يهتم بها
صائد اللالء ، الا اذا انطلقا المصباح وراح يخطب في
البحر على غير هدى .. فانه حرى ان يرتطم بأكوام المحار
الفارغ ، وكذلك الانتباه : اذا غفا أمكن للخواطر المهمة
ان تطفو الى سطح الشعور في غيبة هذا الناقد اليقظ ،
ويكون ذلك في فترة النوم ..

وهذا هو مانعني حين تقول ان كواليس مسرح الحلم
التي تعمل بنشاط كبير قبل ساعة رفع الستار هي ما

نسميه ما قبل الشعور .. فعمليات اعداد الحظم عمليات
نسميها قبل الشعورية

ان هذه المجموعات من الخواطر المهمة او المكبوحه
تفتقر غالبا الى التمويل ، او الى الطاقة الحيوية الشديدة
وهي تجد ما تشاء من ذلك التمويل بين الرغبات
اللاشعورية المكبوتة .. فيتسع نطاق الكواليس في هذه
اللحظة ، ولا ينحصر فيما قبل الشعور بل يصل أيضا
الى آفاق اللاشعور المترامية ..

وقد يحدث ان تكون الخاطرة الشعورية نبذت الى
ما قبل الشعور لاقترائها على حسب قواعد تداعى الافكار
بفكرة مكبوتة او رغبة لا شعورية ، وذلك يؤدي من
البداية الى ارتباط بين ما قبل الشعور وبين اللاشعور
ينتهى الى نتيجة مماثلة للحالة الاولى تماما ، وهو تكوين
أحلام تنتهز فرصة النوم لرفع الستار عنها ..

ولكننا ينبغي ان نتنبه الى فرق كبير بين النوعين ،
فالافكار المهمة التي تستطيع الاستعانة بحليف من
رغبات لاشعورية غير عنيفة ، وبحيث يسيطر على
اللاشعور بسهولة ، تحدث أحلاما لا اضطراب فيها ولا
عنف ، وأما الافكار التي ترتبط برغبات لاشعورية شديدة
العنف ، فهي حرة ان تعجز عن السيطرة عليها ، ولذا
يشتد الصراع بين الفريقين في مشاهد الحظم ، وتكون
النتيجة تلك الأحلام المتناقضة المزعجة ، وأكثر ما تكون
مصادر هذه الرغبات اللاشعورية من فترة الطفولة الاولى
حيث يشتد الكبت .. وهذا يؤدي بنا الى ضرورة
توضيح معنى الكبت

وقد تذكرنا فيما سبق أننا نتصور « الجهاز النفسى »
في مراحل تكوينه البدائى ، وكل همه التخلص من الآثار
الخارجية والاستجابة للمؤثرات استجابة مباشرة تقضى

على التوتر الانفعالي ، وهذه الاستجابة الحركية المباشرة هي الاشباع ..

وانتقلنا من ذلك الفرض الى أن حدوث الحرمان ، أي عدم القدرة المباشرة على الاشباع الفوري ، تؤدي الى تراكم شحنات الاثارة من غير تفريغ .. فيحدث توتر انفعالي على صورة ألم ، ويصحب هذا الألم تذكر صور الاشباع القديمة ، وهذا هو ما يسمى مبدأ اللذة وما يسايره من قانون الألم عند الحرمان منها ..

والمفروض أن اللذة والألم ينظمان الحياة الفطرية تنظيمًا تلقائيًا ، ولكن العجز عن الاشباع المباشر أدى في مرحلة تالية من مراحل التطور الى وجود نظامين : هما نظام تصور الاشباع أو الاشباع التصوري ، ونظام الاشباع الفعلي أو الاشباع بالحركة في مجال الواقع لا في مجال التصور . والنظام الاول هو الذي يصدر عنه الحلم لدى الاصحاء والاهام المرضية لدى الملتجئين في اليقظة ، واما النظام الثاني فهو نظام اليقظة الذي يقوم على حراسته الرقيب أو الانتباه أو الاتية العليا ..

وبسبب قيام هذين النظامين المتمايزين وجب أن ينفصل اللاشعور الذي تحتجز في أعماقه المكبوتات بعيدا عن التصور وعن الفعل معا ، عن ما قبل الشعور الذي ترسب فيه الخواطر الخالية من الأهمية والتي لا بأس من ورودها في نظام التصور أو الوهم .. ولكنها ممنوعة على كل حال من الدخول في مجال السلوك الحركي

وخبرتنا في الأحلام تؤكد لنا أن الرغبات المكبوتة والخواطر المكبوحة لا تنعدم بل تظل محتفظة بطاقتها النفسية ، سواء كان الشخص سليما أو مريضا .. فالحلم في حد ذاته هو الدليل الحى على حيوية تلك الرغبات والخواطر ..

وهذا جرى أن يقود الى القول بأن تفسير الاحلام هو
السكة السلطانية المؤدية بنا الى ارتياد كل ما هو غير
شعورى أو غير واع من جوانب نشاطنا النفسى ، وهذا
وحده كاف للقول بأن تفسير الاحلام على ضوء منهج
التحليل النفسى شيء بالغ الخطورة فى تعريفنا بحقائق
تركيبنا النفسى ومتاعبنا النفسية .. انه الفواصة التى
تستطيع دون غيرها أن تزودنا بعينسست وحفريات
ومعلومات عن الحياة العاتية المتوارية عن ميوننا فى أعماق
البحار ، ولها مع ذلك قوانينها الخاصة وأبعادها المترامية
وأطوارها العجيبة رغم جهلنا الطويل على مدى القرون
بذلك كله ..

بل ان هذا التشبيه أقل من الواقع ، لان ما هو خارج
شعورنا من جوانب حياتنا النفسية وثيق الصلة جدا
بجهازنا النفسى كله وبأفعالنا وانفعالاتنا ..

ولا مفر من القول بأن أهمية تفسير الاحلام فى الكشف
عن أغوار النفس تزداد كثيرا بالنسبة للحالات المرضية ،
لأنها ستكشف لنا لدى المرضى عما فى داخل « جهازهم
النفسى » من تصدع أو تفكك فى مواضع معينة



من اللاشعور الى الواقع

وهناك معارضون يصرون على أن ما هو نفسى مرادف لما هو شعورى .. فما لا نشعر به فهو ليس من أنفسنا أو من نشاطنا النفسى ، ولو صبح قولهم لسكانت دعواتنا بأن هناك عمليات نفسية لا شعورية ، أو قبل الشعورية ، فيها نوع من الخلط أو التناقض ، ولسكان معنى هذا أيضا أن جميع ما يحصل عليه طبيب الأمراض العصبية من ظواهر نفسية مرضية لا قيمة له ، مع أن هذا هو حجر الزاوية في بناء الطب النفسى ورسم الطريق للعلاج النفسى

وحسبنا أن نقول لهؤلاء أن الصفحات السالفة من هذا الكتاب تحفل بعمليات عقلية مركبة أشد التركيب ، ثم الجزء الأكبر منها في غفلة من الشعور وبعيدا عن مجاله ، وهى حقيقة تكفى في حد ذاتها للجزم بأن جزءا لا يستهان به من حياتنا النفسية يقع خارج دائرة الشعور أو الوعى وهذا يسلمنا الى القول مع « دوبريل » بأن الشعور والنشاط النفسى أو النفس شيئان - أو مفهومان - ليسا سواء من حيث « الماصدق » ، وهو كلام فلسفى ترجمته أن الشعور والنشاط النفسى ليسا مترادفين ، وأن كل ما هو شعورى فهو نشاط نفسى حتما .. ولكن العكس ليس صحيحا ، فليس كل نشاط نفسى شعوريا بالضرورة ..

انا امام حقيقة علمية لا مناص من التسليم بها ، وهى

ان اللاشعور هو أساس « الجهاز النفسى » .. انه المحيط
الواسع الذى يحتل الشعور جزءا محدودا من سطحه ،
لان كل ما هو شعورى انما يأتى نتيجة لسلسلة من
التمهيدات اللاشعورية ، وفى الوقت نفسه ليس من
الضرورى ان يجد كل ما هو لا شعورى طريقه الى
الشعور ..

ان من العمليات اللاشعورية ما يظل الى النهاية
لا شعوريا ، ولكن هذا لا يقلل من قيمته .. كما أن
عمليات امتصاص الغذاء من التربة تظل فى حدود الجذر
من النبات ولا يقلل ذلك من أهميتها .. مع اننا لانراها
بأعيننا كما نرى الاوراق والبراعم والثمار

ان اللاشعور هو الحقيقة النفسية الكبرى ، وفى افواره
الخفية المجهولة منا آلاف الاشياء التى تؤثر فىنا ونحن
لا ندري .. بل ان ما يتبدى من نتائج اللاشعور فى دائرة
الشعور لا يمكن أن يبدو لنا على حقيقته ، بل بعد
تعديلات وتشكيلات ضرورية ..

اننا لا نعرف عن حقيقة العالم الخارجى الا ما تصوره
لنا حواسنا ، فليس هناك ما يثبت لنا أن من نراه احمر
اللون انما هو احمر فى حقيقته فعلا ، وان ما نحسه
ساخنا انما هو حار فى حقيقته فعلا .. فكل ما نملكه من
وسيلة للتعرف الى العالم الخارجى هو تصوير حواسنا
لتلك الاشياء الغريبة عنا ، وكذلك الحال بالنسبة
للاشعور .. فنحن لا نعرف ما به من حقائق وموجودات
الا عن طريق ما يصوره الشعور من تلك الموجودات
المجهولة منا ، فاللاشعور الصق ما يكون بنا وابعد ما يكون
عن ادراكنا ..

وان التسليم بوجود اللاشعور هو الاسساس الحاسم
لتوضيح الصلة الحقيقية بين مجال الشعور ومعطيات

الاحلام ، فلم تعد الاحلام خارقة من الاعاجيب ، ولا فعلا من أفعال الجان ، ولا نذيرا من نذر الغيب .. بل انها نتيجة طبيعية لنشاط طبيعي لذلك الجزء المحجوب عنا من النفس ..

بل اننا نعرف الآن ان الطاقة العقلية التي تبدو ناشطة في الحلم ليس لها مصدر آخر سوى المصدر الذي تنبع منه الطاقة العقلية اثناء اليقظة . ومرة اخرى يكون رأى المعلم الاول « ارسطو » اقرب على عراقتة في القدم الى النظرة العلمية الحديثة ، وهو يقول ان الحلم انما هو تفكير النائم من حيث هو نائم .. فما اقرب ذلك الى القول معنا بان الحلم انما هو صورة بصرية تعبر عن اندفاع طاقة نفسية ، كانت تصدرها اليقظة ، فوجدت فرصتها للتسلل متخفية متنكرة تحت جناح الليل ..

وبين أعماق اللاشعور التي لا تسمح لها طبيعتها بالخروج على ما هي عليه الى مسرح الشعور ، وبين ذلك المسرح شقة من الارض الحرام هي الذي نسميه ما قبل الشعور ، وهو الذي يقوم بدور الوسيط وينفذ منه التسلل الذي نسميه تعبيرا بصريا بالاحلام عن الطاقات اللاشعورية ..

ان ما قبل الشعور هو الذي يفترض فيه اغلاق المنافذ بين اللاشعور والشعور ، وهو في الوقت نفسه يقفل المنافذ الى جهاز الحركة الارادية أو الشعورية في الانسان ولعل سائلا يتساءل الآن :

— ماذا بقي من عمل للشعور بعد ان انكمش هذا الانكماش في حدود ضيقة جدا تطفو فوق سطح المحيط النفسي ؟ ..

وجوابنا أن الشعور في مذهبنا وظيفة حسية لادراك الحالات النفسية .. لا أكثر ولا أقل ..

وما من شك في أن تكوينات « الانية » العليا للانسان تتمثل في الرقيب الشعورى الذى يقف على الحدود بين الشعور وما قبل الشعور ، وأن الكثير من عملياتنا النفسية يتوقف على دقة قيام ذلك الرقيب وأمانته ويقظته وقطنته ، ومن أهم مظاهر نشاط هذا الرقيب ما ينتاب احلامنا من تنكر او تشوية توقيا لاثارة ريبته وأعمال المصادرة التى يقوم بها فى حزم وشدة ..

ولا شك أن الكثيرين من المتشككين يتساءلون عن قيمة مثل هذا البحث بالنسبة للأشخاص الطبيعيين الاصحاء ولا شك أيضا فى أن المتزمتين يشمئزون من بحث هذه الدراسة للنزعات الغريزية المكبوتة والكشف عن نشاطها المنافى للأخلاق فى عرفهم ..

وأنا لست على مذهب هؤلاء المتزمتين ، ولا أرى أنه يحق لنا الامراض عن نتائج الكشف العلمية لا شيء إلا لأنها تخالف هوانا أو تجرح حيائنا ، وفى اعتقادي أن ذلك الامبراطور الرومانى الذى امر باعدام أحد رعاياه لأنه حلم باغتياله قد اقترف خطأ فادحا ، وكان الأجدر به أن يحاول الكشف عما وراء ذلك الحلم من حقائق نفسية ، وليته وعى جيدا كلمة افلاطون الحكيم :

— الانسان الفاضل لا يتجاوز بشروه دائرة الاحلام ، أما الشرير فلا يكفيه الحلم بل يتجاوزه الى الفعل .. !
وذلك حرى أن يجعلنا نتسامح فى شأن الاحلام . على أنى أتبه بشدة ووضوح الى أن الرغبات اللاشعورية فى نظرى موجودة قطعا فى أغوار النفس وتفصح عن فاعليتها القوية قطعا فى الاحلام ، ولكن ذلك لا يمنحها فى نظرى الحق فى الوجود خارج دائرة النفس ، أى فى عالم الواقع ، وأنا لا أدعو الى الانتكاس فى التربية والاخلاق بحيث ننقاد لرغباتنا اللاشعورية لمجرد الاعتراف لها بالوجود والقوة

في مجالها النفسى الخفى .. فللاخلاق والتربية حكمهما
وسيادهما على عالم الواقع ..

وانى أرفض بشدة كذلك ان يكون نشاط اللاشعور
كما يتبدى فى الاحلام أساسا للحكم على أخلاق الشخص
أو طباعه ، فنحن لسنا فضلاء لاننا بلا غرائز قوية .. بل
نحن فضلاء لاننا نعرف كيف نتحكم فى مستوى شعورنا
فى غرائزنا ورغباتنا اللاشعورية بالفة ما بلغت من القوة



أما ان الاحلام كوة نرى منها لمحة من الغيب والمستقبل
فذلك باطل .. لان الحلم انما يصور الماضى ويصدر عنه
ويعبر عن مكنوناته المطوية أو المنسية ..

وكل ما للحلم من صلة بالمستقبل أنه يصور لنا رغباتنا
التي كبتهما الماضى أو كبهها ، وقد تحققت على صعيد
الحاضر أو فى فترة من فترات المستقبل ..
ان الحلم أولا وأخيرا محاولة تحقيق رغبة لم تتم ..
محاولة قد تكون واضحة ناجحة أو ملتوية متعشرة
مشوهة ، ولكنها محاولة على كل حال ..



فهرس

صفحة

٧ مؤلف الكتاب
	الفصل الاول :
١٢ التراث العلمى والاحلام
٢٤ السبيل الى التأويل
٢٨ حلم يوليو ١٨٩٥
	الفصل الثانى :
٣٨ تحقيق الرغبة
٤٤ لماذا تتشوه الاحلام ؟
	الفصل الثالث :
٥٤ عناصر الحلم
٦١ احلام نموذجية
	الفصل الرابع :
٧٦ عمليات الحلم الاول
٨٩ الرمزية فى الاحلام

صفحة

الفصل الخامس :

- أضغاث أحلام ١٠٤
أحلام غير معقولة ١١٤

الفصل السادس :

- الحالة الانفعالية في الحلم ١٣٠
حالات انفعالية أخرى ١٤٢
لماذا تنسى أحلامنا ؟ ١٤٨

الفصل السابع :

- أساليب تحقيق الرغبة ١٥٦
حلم نموذجي ١٦٤

الفصل الثامن :

- تطور الجهاز النفسى ١٧٢
لماذا يوقظنا الحلم ؟ ١٨٠
الكبت ١٨٣
من اللاشعور الى الواقع ١٨٨



وكلاء مجلات دار الهلال

العراق : السيد محمود حلمي - المكتبة المصرية
بيفداد

اللاذقية : السيد نخلة سكاف

جسدة : السيد هاشم بن علي نحاس - ص.ب ٤٩٢

البحرين : السيد مؤيد احمد المؤيد - ص.ب ٢١

البرازيل : Dr. Michel H. Tomé,
Poeta Do Colegio No.
3° Andar — Sala 9
SAO PAULO — BRASIL

غانا : Mr. Hussein Abi Hassan,
P.O. Box 2561,
ACCRA, GHANA

سيراليون : Messrs. Allie Mustapha & Sons,
P.O. Box 410,
Freetown Sierra Leone

سنغافورة : M. Ahmed Bin Mohamed Bin Samat,
Almaktab Attijari Asshargi,
P.O. Box 2205,
SINGAPORE

انجلترا : ARABIC PUBLICATIONS
DISTRIBUTION BUREAU,
7, Bishopsthorpe Road,
London S. E. 26,
ENGLAND

نيجيريا : Mr. Mohamed Said Mansour,
Atlas Library Company,
126, Nnamdi Azikiwe Street
LAGOS NIGERIA

هذا الكتاب

خطت الإنسانية في هذا القرن
مرحلة أكبر مما خطته في عشرة
قرون ممتعة من تاريخها ...
وفيه اكتشف الفضاء ، فكان
ذلك كنسفا أضخم من كشف
الأمريكنين على يد كريستوفر
كولمبس ، ولكن عالم النفس
الإنسانية لا يمكن أن يكون أقل
قيمة بحال من الأحوال من عالم
الفضاء أو قارة من قارات الأرض
وكولمبس النفس الإنسانية هو
سيجموند فرويد ، وسفينته التي
عبر بها عن لغة المجهول من أغوار
النفس هي كتاب « تفسير الأحلام »
الذي يقدم خلاصته مبسطة منه بين
دفتي هذا الكتاب

وقد ظل موضوع الأحلام منذ
أقدم العصور مصدرا للرغبة أو
التفاؤل بين عشتار الشرق
والغرب ، ولم يزل الناس في
يومنا هذا ينظرون لما تحدثهم به
رؤى المنام ، ولكن سيجموند فرويد
لقى بذلك كله جانبا ، ووضع
لاول مرة في التاريخ أساسا علميا
ثابت الدعائم منها سلك الأركان
لتفسير هذه الظاهرة

To: www.al-mostafa.com